جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص: أدب عربي قديم

رقم: ق22/ 2020م

إعداد الطالبتين:

دويدة هدى - زميح هدى

القيم الإنسانية في شعر ابن الرومي

لجنة المناقشة:

هنية مشقوق	أ. محاضر أ	جامعة بسكرة	رئيسا
سليم كرام	أ. محاضر أ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
سناء بوختاش	أ. مساعد أ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2019 – 2020

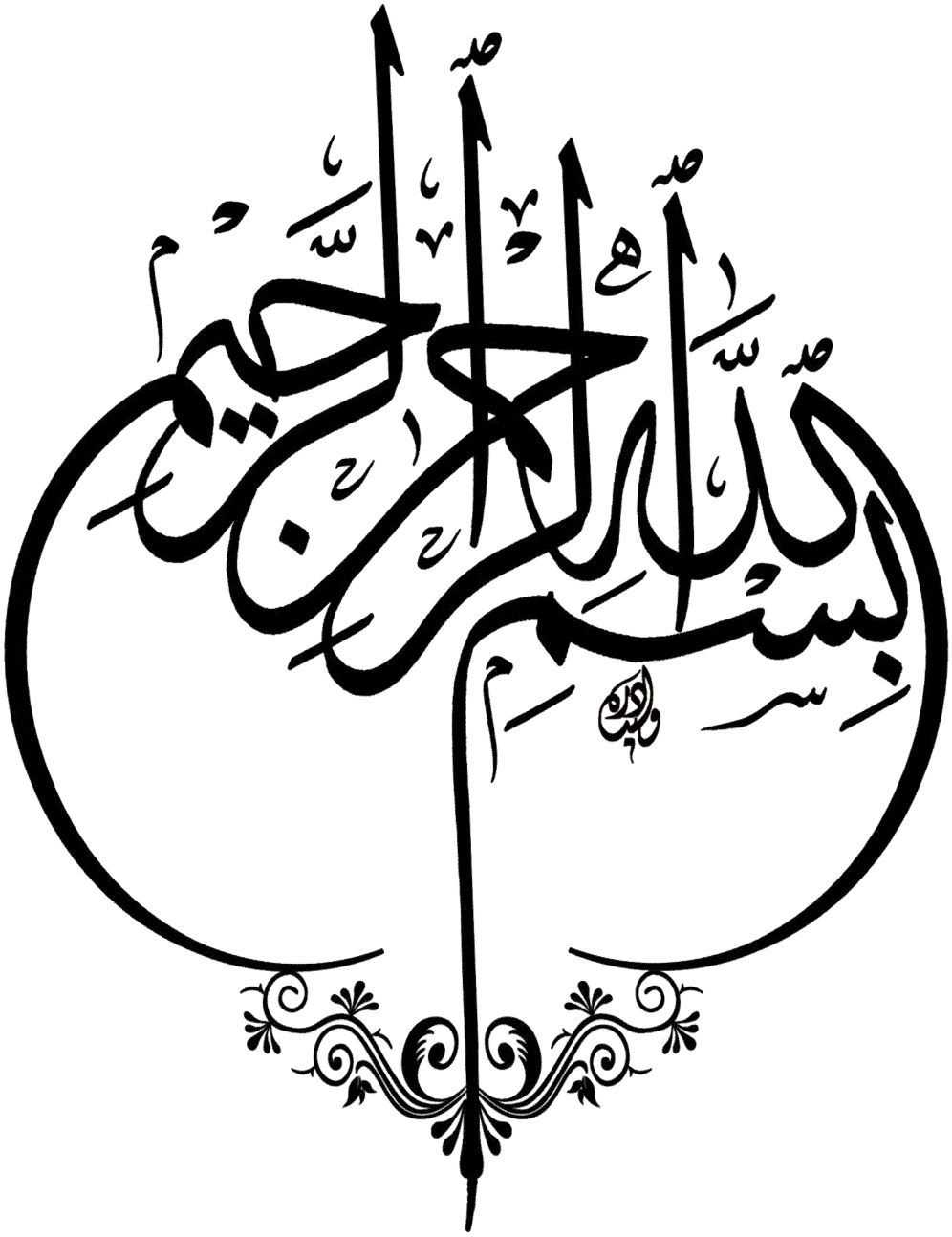
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:
{ لا يشكر الله من لا يشكر الناس}

وامتثالاً لقوله صلّى الله عليه وسلّم فإنّنا نشكر الله على عظيم منّه وعطائه وتوفيقه.

كما نتقدّم بوافر الشكر والعرفان للأستاذ المشرف الدكتور سليـم كرام على المجهودات المبذولة لتصويب الأخطاء، وسعة صبره ورحابة صدره، والله أدرى وأبصر وهو خير المجازين.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه، ومن ولاه إلى يوم الدين وبعد:

عرف الأدب في العصر العباسي قمة نموه ونضجه، فكان صورة ناصعة لما حققته الحضارة الإنسانية على يد العرب بكل أشكالها، وبات الشعر غاية العامة والخاصة فتنافسه أغلبهم على أبواب حكامهم، فكثر عدد النظامين والشعراء ورسّخ التاريخ مَن استطاع إثبات موهبته الشعرية الحقة، فطارت شهرة الكثيرين منهم ممن كان له قدرة المحافظة على مكانته لدى الحكام، غير أن ابن الرومي تمكن بعبقرية الشاعرية أن يكتب اسمه في رقيم الخالدين، رغم عدم اشتراكه في السباق الاجتماعي السياسي، فكان ترجمان الأحاسيس والعواطف الإنسانية، وهذا ما انعكس في شعره الذي يعتبر نموذجا رفيعا للشعر الرقيق والإنساني حين ترجم فيه عواطف وأحاسيس النفس البشرية، لذلك جاء بحثنا موسوما بـ" القيم الإنسانية في شعر ابن الرومي" بكل محمولاتها الهامة، التي نالت حيزا واسعا في الدراسات الأدبية من العصر القديم حتى عصر الشاعر، لأن مبادئ القيم هي أساس الحياة والاستمرار في الوجود.

انجذابنا لتجربة ابن الرومي وتقصي كونه الشعري وآفاقها الروحية، وأبعاده العامة والخاصة يعد من أهم الأسباب التي دفعتنا لدراسة هذا الموضوع والبحث في خفاياه، إضافة إلى فضولنا العلمي الذي دفعنا إلى التطلع على مبادئ مجتمعه، والكشف عن

عواطفه ومشاعره الإنسانية، وكيف كانت نظرته للحياة وعللها؟ والكشف عن موهبته الإبداعية رغم تناقضه، وإهمال كتب التاريخ الأدبي لابن الرومي وأخباره وتهميشه، إلا ما استطاع هو حفره في ذاكرة التاريخ؛ بمواقفه وعقليته الخاصة .

لذلك انطلق بحثنا من إشكاليات رئيسية تمحورت حول التساؤلات الآتية:

-ما هي أهم القيم الإنسانية التي دعا إليها ابن الرومي ؟ وكيف كانت نظرته لها؟

-وما مدى تحقق هذه القيم في عصره ؟

قد حاولنا الإجابة عن التساؤلات من خلال هيكلتنا لخطة منهجية وفق طبيعة الموضوع مبتدئة بمدخل نظري وفصلين تطبيقيين وخاتمة ملمة بالموضوع.

حيث خصصنا المدخل للمفاهيم النظرية الذي تناولنا فيه تعريف القيمة في اللغة والاصطلاح، ثم كشفنا عن دور الشعر في إشاعة القيم الإنسانية قديما حتى عصر الشاعر، وبعدها تطرقنا إلى إبراز قيمة الشعر عند ابن الرومي .

أما الفصل التطبيقي الأول، فجاء بعنوان مظاهر القيم الإنسانية في شعر ابن الرومي وحاولنا من خلاله تتبع تلك المظاهر السائدة في مجتمعه والمؤثرة عليه ودراستها من خلال أربعة عناصر:

1-الجمال، 2- الحب، 3- الألم، 4-الشعر الاجتماعي.

في حين جاء الفصل التطبيقي الثاني موسوما بـ" الآليات الفنية المساعدة في إبراز القيم الإنسانية"، فمنها ما يختص الاشتغال على اللغة الشعرية ومنها ما تمثل في الأساليب والصور البيانية والمحسنات البديعية وموسيقى الشعر.

وفي نهاية البحث قدمنا أهم نتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع في حوصلة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن نتبع المنهج الوصفي من أجل وصف الظَاهرة التي نحن بصدد دراستها، كما اتخذنا من التحليل أداة ووسيلة لتفسير وتحليل القضايا التي أثارها الشّاعر في تجربته، بهدف الإيضاح وتبيان القيّم الإنسانيّة التي قال بها الشّاعر في نصوصه الإبداعيّة، مع الإشارة إلى أنّه تمّ الاستئناس ببعض آليات المنهج النّفسي والمنهج الأسلوبي لحاجة الموضوع إلى ذلك .

وقد اعتمدت دراستنا على جملة من المصادر والمراجع التي استندنا عليها في عملنا، منها ما كان من التراث ومنها ما كان من الكتب الحديثة، وهي مثبتة في آخر البحث، ديوان ابن الرومي بتحقيق عبد الأمير علي المهنا، وكتاب ركان الصفدي ابن الرومي الشاعر المجدد، ودراسة حنا الفاخوري في تاريخ الأدب العربي.

لا نستطيع نفي أن لكل دارس يتعرض لصعوبات من ناحية جمع المادة العلمية وتنظيمها خصوصا إذا كانت متشعبة فكريا وهذا ما يظهر في هذا البحث لكونه موضوع واسع وغني بالأفكار جعلنا في حيرة ما نختار الأنسب، وصعوبة في ضبط حيثياته،

إضافة إلى ذلك ندرة المصادر والمراجع التي تكلمت عن ابن الرومي وكل ما يخص حياته النفسية والاجتماعية، حيث إن أغلب الكتب التي تحدثت عنه تكرر نفس المعلومات وبالتالي لا يكون تنوع في الأفكار ولا جديد في ذلك، ولا ننسى العامل النفسي بسبب الجائحة وظروف الحياة السيئة التي كادت أن تعصف بدراستنا وتثبط من عزيمتنا لولا إصرارنا وتشجيعات ودعم الأستاذ المشرف ودفعه لنا قدما إلى الأمام.

وفي الختام نتوجه بجزيل الشكر والامتنان لأستاذنا الكريم الدكتور سليم كرام على مجهوداته المبذولة في الإشراف على البحث، فلم يبخل علينا بالنصح والإرشاد والتوجيه، ونشكر له حرصه على تقويم وتصويب هذا البحث، في سبيل إخراجه على ما هو عليه، فجزاه الله عنا كل خير وبارك الله فيه، كما نتقدم بجزيل الشكر للجنة المناقشة لتقويمهم هذا البحث، وأخيرا نسأل الله السداد فيما سجلنا، والتوفيق فيما كتبنا، فهو وحده الهادي إلى سواء الطريق.

المدخل

1/- مفهوم القيمة :

أ/- لغة

ب/- اصطلاحا

2/- دور الشعر في إشاعة القيم الإنسانية قديما حتى عصر الشاعر

3/- قيمة الشعر عند ابن الرومي

منذ أن نطق الإنسان الشعر أدرك أنه رسالة سامية، فاجتهد في تحصيل مبادئه وضوابطه، وتعلم ظاهره وخافيه، فكل من خصه الحظ بالشعرية تعامل معها بقداسة ومهابة؛ سيفا استله من غمد المجتمع يمجد الأعراف والخلال، ويرفع القيم التي آمن بها.

وتلك القيم هي فطرة إنسانية، جبلت عليها البشرية منذ القدم، وهذا ما يثبت أن لكل مجتمع مبادئ يقوم عليها لضمان استمرارية، ولتصحيح سلوكه الإنساني لهذا حظيت بكثرة التعريفات والآراء والملاحظات لعكس مدى مكانتها في نفوس الناس .

1/- مفهوم القيمة :

أ/- المفهوم اللغوي:

شاع في استخدام اللغويين مصطلح القيمة، وعَرف في استخدامهم التعدد المعنوي، ولعل مدلول الثمين من بين توظيفاتهم السياقية، ويعرفه ابن منظور بقوله: « وقيم الأمر: مقيمه، وأمر قيمٌ،مُسْتقيم، والقَيمُ: السيد وسائس الأمر، وقَيم القوم الذي يقومهم ويسوس أمرهم، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، والاستقامة التقويم»[1].

وجاء في معجم الوسيط عن مدلول المصطلح «أن قيمة الشيء هي قدره، وقيمة المتاع هي ثمنه ويقال ما لفلان قيمة أي ماله ثبات ودوام على الأمر»[2]، ويقال: «قومت السلعة، والاستقامة الاعتدال وقومت الشيء فهو قويم أي مستقيم، والقوام العدل وقوام الرجل قامته وحسن طوله»[3].

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ق.و.م)، المجلد 6، دار الأبحاث، الجزائر،ط1، 2008م، ص327-328.

(2) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة ،ط2، 1997 ، ص 768.

(3) عبد الله العلاملي، الصحاح في اللغة ج2، دار الحضارة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1975م، ص201.

وإلى جانب هذه المعاني يورد صاحب قاموس المحيط معنى يحدد به دلالة القيم، إذ يقول: «وقامة الإنسان وقِيْمة وقَومتُه وقوامه: شططه وماله قيم: إذا لم يدم على الشيء، واستقام، اعتدل، وقومته: عدلته، فهو قويم مستقيم»[1].

يتضح مما سبق تقديمه أن الألفاظ التي تحمل مشتركا لغويا يتمثل في "القيمة"، مرتبط بمادة "ق و م"، وهي تعني حسب المعاجم القديمة قيمة الشيء وثمنه، الاستقامة والاعتدال والثبات والدوام والاستمرارية على الشيء.

كما وردت لفظة القيم في محكم التنزيل في قوله تعالى: ﴿ذلك الدين القيم﴾[*]، يعني الدين المبني على الحق، وفي قوله أيضا: ﴿ذلك دين القيمة﴾[**]، ومعناه الدين العادل الذي يقوم على أحكام لا عوج فيها تبين الحق من الباطل.

ب) المفهوم الاصطلاحي:

وإذا ما تجاوزنا المفهوم اللغوي وشرعنا في بيان المفهوم الاصطلاحي وجدناه شديد الارتباط بالمجتمع لذلك يكثر استعماله في الأبحاث الاجتماعية والنفسية والاقتصادية وخاصة الأخلاقية.

لقد عدها اللغويون معيارا اجتماعيا نحكم بمقتضاه ومستوى أخلاقي نقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه المعاملات من المرغوب عنه، حتى باتت جميع القواعد والسلوكيات التي تقوم عليها الحياة الإنسانية وتنتظم وفق طبيعتها وبها تختلف عن الحياة الحيوانية وتختلف الحضارات في صناعتها وتصورتها.

(1) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، تح:محمد النعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ-2005م، ص 1152.

(*) سورة الروم: الآية29.

(**) سورة البينة: الآية03.

«يُنظر إلى القيمة بوصفها نتاجا إنسانيا هو هدف التطور الإنساني ومحركه معا»[1]، فهي صناعة إنسانية توافقية تعيد المجتمع إن استحكمت في بمفهومها التصوري الصحيح إلى صورته المثالية، «من خلال اللجوء إلى حجة معينة ترى أنها ترتقي بالحساسية الأخلاقية»[2].

فالقيمة تعتبر هي الطريقة التي يتعرف بها الصفة المرغوبة للشيء، وبأنه أمر محبوب ومطلوب في المجتمع لانسجامها مع العقل ودليل ذلك عند أحد الباحثين أن القيمة: «يعني الطريقة في الوجود والسلوك يعترف بها الشخص أو الجماعة على أنها تمثال يحتذ، وهي الصفة التي تجعل من الشيء امرأ مرغوبا فيه ومطلوب في المجتمع، وإنها مسألة ذاتية وإرادية تتلاءم مع العقل وتوافقه»[3].

إذن مقياس القيمة هو العقل حيث هي المعيار الأساسي لكل أمر معين الذي يفرض سلوك الإنسان، والقيمة بالسلوك والسلوك لا يكون موجودا إن لم تكن هناك قيمة ودليل «قيمة تفرض سلوك الإنسان والسلوك يكشف عن القيمة، وقد حاولت مدرسة القيم تفسير سلوك الإنسان في ضوء القيمة»[4].

لا يمكننا تحديد مفهوم واحد للقيمة لأنها ذات تعدد أراء ومفاهيم، فالقيمة تعني قناعة الإنسان وإيمانه بالأهداف المشروعة أو المقدسة التي هي معايير تطلق للحكم على الأفعال والأشياء سواء بالحسن أو القبح، أو عن طريق الأمر والنهي، ودليل ذلك: «عبارة

(1) طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 550.

(2) المرجع نفسه، ص 549.

(3) سلمى سلمان علي، القيم الأخلاقية في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الأفاق العلمية العربية، القاهرة، ط1، 2007م، ص21.

(4) المرجع نفسه، ص22.

عن معايير يلتزمها الأفراد والمجتمعات في سلوكهم تشكل محددات سلوكهم، ومصدر الأحكام والتفضيل، أو الشكل منظومة القناعات العليا في حياتهم»[1].

كما تعتبر ميزة العقل أو الخاصية التي توفرها لتعطي قيمة الشيء وتجعله مرغوبا فيه، «فأفلاطون وأرسطو ناقشاها تحت عناوين الثالوث الكلاسيكي عن الحق والجمال والخير، وربطاها بأسئلة العدالة والأخلاقية والفضيلة واللذة والمنفعة والسعادة»[2]، أو هذا ما يجب أن يكون الحال عليه، أما أحكام القيم هي التي تمد الأفراد بالاستحسان الناتج عن تلك القيم الحسنة التي سيتصفون بها نتيجة تلك الأحكام ودليل ذلك قول أحد القائلين: «إنها عبارة أحكام التي يصدرها الفرد بدرجات المعينة من التفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات والأشياء، وذلك في ضوء تقويمه لهذه الموضوعات»[3]، فهي ما يقدمه الفرد من معارفه وخبراته من الوسط الذي يعيشه، «بوصفها شيئا مثل دافع أو محرض أو غرض من أغراض الرغبة أو الاعتقاد العاطفي»[4].

فالقيمة معيار إنساني تواضعي نقيس به ونحكم بمقتضاه على الأفراد ومستوى سلوكياتهم، ويمكن ههنا أن نستأنس في تعريف القيمة إلى التعريف القائل بأنها «مجموعة من المبادئ والمعايير التي يضعها مجتمع ما، في ضوء ما تراكم من خبرات، وتتكون نتيجة عمليات انتقاء جماعية يصطلح عليها أفراد المجتمع، لتنظيم العلاقات بينهم؛ لذا تعد القيم إحدى مرتكزات العملية التربوية، وتحقيقها من أهم مقاصد عملية التنشئة الاجتماعية»[5].

(1) معاذ جبر سعيد، القيم العالمية وأثرها في سلوك الإنسان، دار الكتب الحديث النشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص19.

(2) طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة، ص 547.

(3) معاذ جبر سعيد، القيم العالمية وأثرها في سلوك الإنسان، ص19-20.

(4) طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة، ص 547.

(5) سميرة البدوي، مصطلحات تربوية ونفسية، دار الثقافة،(د.ب) ، ط1، (د.ت)، ص 184.

ثانيا : دور الشعر في إشاعة القيم الإنسانية:

إن الحديث عن القيم الإنسانية يقودنا إلى الحديث عن الوسيلة السامية التي يمكنها القيام بهذه المهمة النبيلة، والعرب منذ القديم كانت وسيلتهم في ذلك الشعر، فهو مرآة عاكسة لأحوال المجتمع، والمعبر عن الأحاسيس والعواطف بما تحمله من معاني إنسانية التي ظلت لا تبرح ذاكرة العرب على مر العصور.

«فالمجتمع الجاهلي عرف بفضائل بلغت الغاية في السمو والنبل، تمسح عن وجه العربي غبار الصراع، ووضر التأثر(...)، وتهب هذا المجتمع شكلا راقيا من أشكال الترابط الإنساني، والتوازن الخلقي والاستقرار الاجتماعي، كالوفاء وحماية الجار»[1]؛ فطبيعة العربي البدوية هي من فرضت على الشعراء التفاخر بالفضائل الحميدة، والتغني بأسمى القيم العليا كالحِلم والإباء والمروءة، «فقد خلقت الصحراء بقوانينها الصارمة على العربي مجموعة من الصفات الحميدة والفضائل النفسية، ملأت صدره فانفجرت شعرا فخريا وحماسيا، كان صدى لما يجيش في النفوس»[2]؛ فإن أول ما تغنى به الشاعر في تلك البدوية الخانقة هو الشجاعة؛ فهي الدم الذي يجري في عروقهم، وتدل على البطولة والإقدام والإنسانية الرفيعة، «حيث أن هذا اللون من شعرهم ليس شعر قوة وبطولة فحسب، فقد تغنوا فيه بكريم الشيم وكل ما اتخذوه مثلا رفيعا لهم في حياتهم وسلوكهم من كرم ووفاء»[3].

فعندما نقرا أشعار الجاهليين نلحظ تعظيمهم للمُثُل العليا، وتغنيهم بمكاسب من مشمولها ما أسموه المروءة، لتفوح أشعارهم بأطيب الفضائل النبيلة، «وهذا ما جعل زهير يدعو الإنسان لتحلي بالقناعة والوفاء وبذل المعروف والتفضل على القوم بقلب سخي ويد

(1) غازي طليمات، الأدب الجاهلي، مكتبة دار الإرشاد، حمص، ط1، 1412 هـ-1992م، ص 144.
(2) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص 257.
(3) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط24، (د.ت)، ص 257.

كريمة واثبات الرجولة في مواقف الرجولة وذلك في سبيل بناء مجتمع أفضل فيه الكثير من الإنسانية والرقي»[1].

ومن خلال ما سبق يتبين أن الشعر الجاهلي يعكس لنا طبائع المجتمع ومستحكمات خصال الناس، وأخلاقهم وأحوالهم النفسية وخصالهم الحميدة في سبيل التأثير في الإنسان.

فمن الطبيعي أن الشعر الإسلامي أخذ من الشعر الجاهلي بعض الفضائل الخلقية ليرسخها، ويعلي من شأنها، وأضاف إليها المثالية الدينية، فكان مدار كلام الشعراء على ما أتاح الإسلام من مساواة وما دعا إليه من اجتماع وإقلاع العصبيات، وإيثار التقوى، فقد كان الإسلام ينبذ المتنافي مع تعاليم الدين، ومحاربته لما تدعو إليه العصبية القبلية من قتل وسفك الدماء، ويدعو إلي القيم السمحة بهدف تأليف بين قلوب الناس .

«ومن ثمة أخذ الشعراء يلتمسون المعاني الإنسانية، ويلتزمون الصدق والإخلاص والوفاء والجود والعفة»[2]، يعني ذلك انحصار شعرهم في التغني بالرسول وعظيم أخلاقه، وصفاته النبيلة كالعدل والعفو عن الناس، وذلك في سبيل نشر مكارم الأخلاق وتبليغ الدعوة الإسلامية التي نقلت الشعر من ظلمات الجهل والظلم إلى الحرية والأمن والمساواة.

«فمن المعروف أن الإسلام يرفع من شان المسلم اجتماعيا وعقليا وروحيا، وهو ارتفاع من شأنه أن يسمو بإنسانيته، وذلك بفك القيود عن روح الإنسان هيأه لحياة اجتماعية عادية، تقوم على الخير والحق والتعاون»[3]، فالقيم الدينية هي في الأساس قيم أخلاقية تهدف إلى تحسين العلاقات بين البشر للحفاظ على التماسك الاجتماعي والترابط

(1) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 221.
(2) سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي والأموي، دار المسيرة، عمان، ط1، 1433هـ-2012م، ص84.
(3) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1119هـ، ص 24.

الإنساني، لأن أهم لسان للقيم الذي يعبر عن واقعنا واحتواها كليا يمتثل في الشعر الإسلامي.

وإذا انتقلنا إلى العصر الأموي فإننا نلمس في أشعارهم مثالية خلقية، تنعكس على خصال الخلفاء والقادة الحميدة؛ «وذلك من خلال وصفهم لحروبهم وشجاعتهم، وتمسكهم بالحق، والابتعاد عن الباطل، والتحلي بالحلم والأنفة، وسداد الرأي»[1].

والملاحظ أن الشعر في عصر بني أمية، كانت له نفس العاطفة الإنسانية التي نلمسها في الشعر العباسي، ويتمثل ذلك في الإشادة ببطولات القادة والخلفاء، « فقد كانوا يسجلون أعمال الخلفاء والولاة وما ينشرون من الأمن والعدل، حيث مثلوا فيهم الفضائل العربية المرسومة التي لا تطيب حياة بدونها»[2].

والذي تجدر الإشارة إليه أن الشعراء كان لهم اندفاقا كبيرا وراء الممدوح، وذلك رغبة في الغنى وخشية من الفقر والبؤس، وهذا ما دفعهم للتغني ببطولاتهم وصفاتهم النبيلة، «فمن الموضوعات التي برزت بشكل واضح في هذا العصر ملامسة الشعر لأحوال الشعب، واهتمام الشعر بمعالجة الموضوعات التي تهم الشعب بكل أفراده وطوائفه، لا طائفة خاصة منه، كمطالبة بالعدالة الاجتماعية والدفاع عن الطبقات الكادحة»[3]؛ فجمال الشعر يرتبط بمدى اتصاله بالواقع، وملامسته لقضايا إنسانية، والمعبر عن الواقع، وأمال الشعب وآلامه وأخلاقه.

ومن ابرز الشعراء العباسيين الذين كانت لهم نظرة إنسانيّة نذكر ابن الرومي وذلك من خلال حبه للحياة والواقع، وشغفه بالطبيعة وجمالها، فنراه في الكثير الأشعار ينقل لنا

(1) حنا الفاخوري، الجامع في التاريخ الأدب العربي، ص 390.

(2) شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1119هـ، ص 253.

(3) مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العهد العباسي، الدار دولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط2، 2008م، ص42.

الطبيعة في صورة إنسان، تضحك وتحزن حيث يضفي عليها ملامح إنسانية مما تزيد في جمال شعره، فقد كان من أكثر الشعراء يحكي بخاطر الإنسان وأحواله وحاجاته .

ثالثا : قيمة الشعر عند ابن الرومي:

وجد ابن الرومي في عصر يزخر بفطاحل الشعر، واستطاع أن يثبت جدارته بلقب شاعر حين دون اسمه في لوح الخالدين، مستغنيا عما اتخذه غيره سلما للمجد ممثلا في ملازمة الخلفاء والأمراء، فبرزت شخصيته العصامية في شعره؛ وكان يعبر عما يلج في خاطره، وكان من الشعراء الصادقين ويعبر عن ذاتيته، وكان أغلب شعره مرآة لروحه، وكان كأي شاعر آخر يعتبر شعره صورة له.

فقد كان ابن الرومي ميسور الحال وكان يعيش عيشة الرفاهية إلا أن حلت المصائب وناء به قلبه وعقله، وهو موت أفراد عائلته واحدا تلو الآخر، «ولم يكن ابن الرومي من طالبي الكفاف في الحياة، بل من مدمني المتعة والشهوة واللهو، مما جعله يضيق بتحصيل ما يكفيه مؤونة العيش»[1]، مما أدى به حياة العوز والحاجة؛ فاضطر في بعض الحالات لاكتساب رزقه بملاطفة قلمه مدحا أو تهديدا ووعيدا بالهجاء.

فشعره يعبر عن كل ما تزخر به الحياة من حركية في حزن وفرح ونعمة وبؤس، وعندما تطلع على قصائده فيها ملامح الفقر المدقع والتسول، وكان يعرضها وذلك لإلحافه الشديد في طلب العطاء فكانت نبرته حزينة تارة ووطأة سخريته مؤلمة تارة أخرى[2].

فابن الرومي زامن مرحلة عصيبة من حياة الدولة العباسية، وكانت مرحلة غامضة تعاني الاضطراب والضعف، وتنازع التيارات والنفوذ من الفارسي والتركي «ففي القرن انحسر أثر العنصر العربي بعد الحرب بين الأمين والمأمون؛ ثم نشا صراع جديد بين

(1) إيليّا سليم الحاوي، إبن الرّومي, فنّه ونفسيته من خلال شعره، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،ط2، 1985م، ص11.

(2) ينظر: عبد الأمير علي المهنا، ديوان ابن الرومي، دار المدار الثقافية، البليدة، ط1، 2009م، ص615.

العنصرين الفارسي والتركي ثم المصلحة العنصر التركي في عهد المعتصم»[1]؛ ونتيجة هذا الصراع جاء بها المعتصم، وقام بالسيطرة وتوطيد أركان الخلافة؛ والقضاء على حركة التمرد .

ونزيد على ذلك اضطراب الحالة الاجتماعية بالإقطاع والاحتكار ومصادرات والاستبداد ولا ننسى أهم الثورات والأحداث الدامية (الزنج، الزبيديين)، وابن الرومي فقد عاصر تسعة خلفاء: (المعتصم، الواثق، المتوكل، المنتصر، المهتدي، المعتز، المعتمد، المعتقد) من جهة ومن جهة أخرى ازدهار الفلسفة واللغة والأدب والفقه والتنجيم وغير ذلك.

فالمجتمع في عصر ابن الرومي قسم إلى طبقات: «يتوزع المجتمع العصر العباسي ثلاث طبقات أساسية؛ تشمل الخلفاء والوزراء والقواد والولاة ومن يلحق بهم من أمر كبار رجال الدولة ورؤوس التجارة»[2]، فهنا تطور العصر نتيجة احتكاك العرب بمختلف الشعوب؛ وقد استفاد ابن الرومي بهذا التنوع، كما اقتبس ثقافته من عائلته المتكونة من أب رومي وأم فارسية فمزج بين الثقافتين وجاء بثقافة تميز بها عن غيره .

ونتيجة الصراعات والاضطرابات السياسية والاجتماعية، التي كانت من الدوافع أو الأسباب في اقتناء ابن الرومي للشعر، فقد حددت له صفات ميزته عن غيره من شعراء عصره، وكانت مؤثرة عليه في شعره، فقد «كان ابن الرومي عجيبا في أخلاقه معقد النفس شديد الطيرة، كثير التشاؤم مضطرب حاد المزاج، كما كان مرهف الحس إلى غاية التي لا يشارك فيها غيره، كان دقيقا في تعبيره عن حزنه، كما كان دقيقا في تعبيره عما يستنكره أو يستبشعه»[3]؛ ورغم هذه المواصفات التشاؤمية التي طغت عليه إلا أنه كان

(1) ركان صفدي، ابن الرومي شاعر المجدد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2012م، ص58.
(2) شوقي ضيف، تاريخ الأدب في العصر العباسي الثاني، ص 53.
(3)حامد حفني داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ديوان للمطبوعات جامعية، بن عكنون ،الجزائر، ط2، 1993م، ص75.

لديه مكانة وشهرة، فقد كان شاعرا مجيدا في مختلف الفنون، غزير الشعر رحب الأفاق الشعرية متعدد الأغراض.

ومن المؤرخون الذين كانوا الأقرب إلى ابن الرومي وأجمعوا على أنه اشتهر باختراع المعاني، ويقصد به التجديد وانتشر في ذلك الزمان، يقول ابن الرشيق: «وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه، وحسن اقتنائه؛ وقد غلب عليه الحزن حتى اشتهر به»[1]، فابن رشيق يرى ابن الرومي مخترع المعاني وبصورة مكثرة، رغم ان دوافع الشعر ومغرياته لم تكن دوافعها مثمرة، فقد غلب على شعر ابن الرومي الهجاء، واشتهر به أكثر من غيره من الفنون .

أما المزرباني يرى في معجمه أن ابن الرومي «أشهر أهل زمانه بعد البحتري، وأكثرهم شعرا وأحسنهم أوصافا، وابلغهم هجاءً وأوسعهم افتنانا في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه؛ ويركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره»[2]، فقد نجد ابن الرمي ارتقى عند نقاد عصره بما فيهم ابن رشيق والمرزباني مكانة رفيعة؛ كان فيهم من يقوم بمدحه وآخر يفضل شاعرا عن شعره، ومن بينهم المرزباني حين فضل البحتري على ابن الرومي في مقولته، وباختلاف ناقد آخر يفضل ابن الرومي على المتنبي؛ فرد بذلك الجرجاني " الوساطة " مفندا حجج من ابن الرشيق أمام أنصاره مدافعا عن المتنبي.

فابن الرومي لم يكن شاعراً فقط بل كان كاتبا فذا يقتدى به، وشاعريته مشهود لها بالبراعة والتميز، يعتمد فيها على طبيعة لا تتكلف أبدا على الرغم من أنه طويل النفس، وقد اهتم بمعاني القصيدة أكثر من ألفاظها وكان يتميز شعره بكثرة المقاصد أو المعاني فهو كان يحب أن يزود قصيدته بمعاني لتؤثر على ألفاظه ولا يهتم بموقعها، وله الميول نحو سياق المعنى؛ في مكان واحد، فهو لا يبالي بالألفاظ بقدر ما يهتم بمعاني وتجمع

(1) ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص31.

(2) المرجع نفسه، ص32.

أطرافها فقد تكون هذه المعاني المترابطة على شكل مقالة وهذا ما ترك القارئ لا يميز ماذا يقرأ مقالة أو قصيدة ولقد ملك أغراض الشعر كثيرة له المديح والهجاء والفخر وتهديد وغزل، ورغم كل هذه الأغراض الشعرية تخصص فيها بالفنون الوجدانية[1].

لقد اهتم ابن الرومي في شعره بالمعاني أكثر من ألفاظ، جعل لشعره ميزات تجعله مختلفا عن غيره، فله القدرة على الوصف الدقيق لكل ما يلفت انتباهه وحسه، حتى نُعت بأبرع الوصافين العرب، وقدرته على جمع النظرة الكلية وجمع معظم الأخلاقيات منها الذميمة والمحمودة على أساس الصورة مجسمة كصورة الثقيل فابن الرومي حمل نفسه بعيدا، وتنظم أكثر في شعره ولقد استعان في قصائده وما جعله مميز هي الثبات على الفنون الجديدة ولقد حافظ على أسلوب شعري عنده لمنعه الهبوط عن المستوى المتميز، فابن الرومي من الشعراء الذين يمتلكون الشعبية له شعر في ديوانه من موضوعات ومعاني[2].

(1) ينظر:تميم محمود فاخوري، مريم شبلي، أعلام الشعر العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د .ط)، (د .ت)، ص16.

(2) ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، ص 111-112.

الفصل الأول

مظاهر القيم الإنسانية في شعر ابن الرومي

-الجمال

-الحب

-الألم

- الشعر الاجتماعي.

المبحث: مظاهر القيم الإنسانية في شعر ابن الرومي

حَظي ابن الرومي بمكانة مرموقة في الشعر العربي باعتباره أحد أشهر شعراء الوصف في تاريخ أدب العربي قديمه وحتى حديثه، وزاد عن ذلك الطابع الوصفي أصنافا شعرية أخرى كحسن التعبير عن الحب والجمال والألم ومعاناة المجتمع، وللشاعر وجهان إنسانيان، أولهما ذاتي يبث فيه مشاعره وأحاسيسه وعوالج ما يحزنه في الوعي واللاوعي من ألام وآمال، وأفراح وأتراح بكل صدق وأمانة، ويسكبها بعفوية تامة في قالب شعري[1]، أما الآخر فوجه ساخر متشائم ناقم على كل أوضاع الحياة، يسخر من المواجع ويهزأ من نماذج بشرية عدة عايشها، وكأنه يحمل سوداوية العالم في قلبه المتهالك أمام وجع الموت والظلم والقدر وخداع البشر، ولا ندري كيف استطاع ذلك القلب أن يحتوي العالم بمتناقضات ومفارقات صفاته، ويكون شاعرا مبدعا في النقيضين.

أما مناقشة هذا الموضوع فهو واسع جدا، ولنا في بحثنا ههنا أننا سننقل بعضا من جوانب تأثير هذا التناقض، في تفسير بعض القيم الإنسانية الماثلة أو المستخلصة في شعر ابن الرومي، فقد كثر في شعره مثلا الوصف، فكان في مدحه ورثائه وصافا، وكان في غزله وهجاءه وصافا، كما تناول في وصفه الماديات ومعنويات وهذا لم تألفه عند شعراء الأدب.

لقد استغرقت موضوعات الشاعر في إبداعه الفني أغلب معالم الإبداع ولعله في وصفه لها كان يتأمل تلك العناصر فتنفجر فيها القيم، « لقد كانت ملكة التصوير الرومية جاهزة تلتقط الصور من هنا وهناك، وتستشعر فيها مواضع الجمال، فتُسقط عليها كل أنوار الإبداع فتخرج زاهية ناظرة مهما كانت بساطتها، فقد صور خبازا وهو يعمل كما

(1) ينظر: ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص 127.

صور حقلا من الكتان وري البنات وسير المياه، كما صور المغنية "وحيد" وأبدع في رسم ملامحها»[1]، ومن هنا يمكن تحديد مظاهر تلك القيم بالعناصر التالية:

أولا: الجمال:

ابن الرومي كغيره من الشعراء الفنانين عشق الجمال وسعى إليه فقد كان الاستمتاع بالجمال هدفه في الحياة وأمتدح به وتذوقه، وتأثر به سواء في الوجه أو الجسد أو الصوت والغناء الحسن وكل ما كان يمثل الجمال، «اعْتِراف العلماء بعجزه عن إيجاد تفسير جامع شامل لعلم الجمال، لأن هذا العلم يصعب حصره في نقطة معينة أو وضعه داخل دائرة ضيقة»[2].

ويبقى شعور ابن الرومي للجمال انطلاقا من قناعته فيه بأنه «إلهام أو وحي يأتي للفنان من عالم مثالي فائقٍ عن الطبيعة، والفنان رجل ملهم يستمد فنه من ربات الفنون»[3]، لينساب إلى نفسه «من خلال جميع منافذها (العين والأذن والأنف والحس وجميع حواسها)، وما كان مدخله متعددا ومنفذه مختلفا بات تحديد معناه من الصعوبة بمكان»[4].

فقد أكثر شاعرنا الحساس من وصف الجمال والحسن بشتى صوره، فكان حضوره في مدحة ورثائية أو في لحظة صفاء غزلية أو حتى في موقف ساخر من أحدهم، كانت تحضر لمسة الجمال أو الإشارة إليها في صورة مادية أو معنوية، فابن الرومي شاعر

(1) سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون أنموذجا، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2013م، ص79.

(2) محمد مرتاض، مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 4، 1998م، ص 17

(3) مصطفى عبده، فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط 2، 1999م، ص 14.

(4) سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون أنموذجا، ص29 .

النفس والحسن والبهاء والجمال، استطاع ان يعبر عنه في صورة متنوعة بديعة قد تظهر في ملامح مختلفة منها:

1. جمال الطبيعة:

جمال الطبيعة كان من أهم الموضوعات التي برع فيها ابن الرومي وساعدته في ذلك ملكة تصويره دقيقة وخيال واسع وقلة ما يأتي بها الشاعر ويعتبرها متحف من متاحف الجمال، فقد وجد فيها مرتعا لعينه وتتبعها وراقبها فانطبعت ثم انتقلت إلى عالمه الباطني وحاول أن يرسمها رسما حقيقيا واقعيا، دون أن ينسى أن يضيف إليها لونا خاصا من ثقافته وعلمه ولقد سبق وعرفنا أنه له علم بعلم الفلك وقوله وهو يمدح ويهنئ بمولود[1]:

بدرٌ وشمس وَلَدَا كوكبا أقسمتُ بالله لقد أنجبا
ثلاثةُ تُشرقُ أنوارُها لا بُدّلتْ من مَشرقٍ مَغربا
بدرٌ وشمس أبَوَا مُشتَرٍ ما نازعتْ شَرْواهُ أمٌّ أبا

فابن الرومي من ابرع الوصافين في العصر العباسي، وخاصة لجمال الطبيعة، فكان متذوقا لجمالها الفتان الظاهر، فهو يرى البدر والشمس كوكبا، وهنا شاعرنا يقصد سمات الجمال مباشرة فجمال هذه الأبيات جمال الشمس في دفئها وجمال البدر في ضياءه وسحره، يبرز أبهى منظر وحله وتشبيهه بالكواكب والسماء.

وهنا لم يقف شعره في تذوق فقط بل تعداه إلى صورة نفسية موجودة في طبيعة يصف لنا جمال الغروب بقوله[2]:

وقد رنّقت شمس الأصيل ونفّضت على الأفق الغربيّ ورساً مزعزعا

(1)ابن الرومي، شرح:عبد الأمير علي المهنا، الديوان، ج1، 247- 248 .
(2)المصدر نفسه، ج1، ص10.

وودّعت الدنيا لتقضي نحبها وشوّل باقي عمرها فتشعشعا
ولاحظت النوّار وهي مريضة وقد وضعت خداً إلى الأرض أضرعا

ففي هذه الأبيات يصف لنا جمال الغروب كمظهر خارجي أما الجمال الباطني يمكن جو إنساني غني بالعواطف.

2. **جمال المرأة:** لقد انتبه العربي كغيره من الناس إلى صورة الجمال النسوي الذي خصت به على الرجل وأدرك من خلال شعره تلك المقاييس الماثلة أمامه، غير أنه ونتيجة للاختلاط الجنسي الحادث زمن بني العباس، بانفتاح البلاد على أجناس وحضارات ذاك الزمن، أدرك مقاييس أخرى وتعرف غيره وأعجب بمقاييسه، فابن الرومي يرى في مقاييس الجمال العربي منزلة إنسانية للحسن العام، لذلك كان يحاكي صورة جمال الأجنبيات وينزله منزلة مقاييس العرب، فانظر قوله: [1]

ذات يومٌ رأيتها فيه مليءٌ للعين من بهجةٍ وحُسْنِ دلالِ
لبست حلةَ الشبابِ وظلتْ تتهادى في غصنهِ الميّالِ
صبغةٌ أرجوانيةٌ في صفاءٍ وقوامٌ مهفهفٌ في اعتدالِ
وزهاها سوادُ فرعٍ بهيمٌ فهْي سكرى لذاك سُكْر اختيالِ

يعتبر ابن الرومي الجمال الخَلقي أبرز علامات ودلائل حسن الخلق في الكون وأن «الإنسان واسطة بل وأداة لتصوير الجمال لكونه رسول الإلهام والوحي يجعله واسطة طيعة، قد تُحدِث تواصلا تاما بينه وبين مظاهر الطبيعة الصامتة»[2].

وقال أيضا[3]:

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج5، ص238.
(2)سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون أنموذجا، ص22 .
(3)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج6، ص 176.

يغيمُ كلُّ نهار من مجامرها ويُشمسُ الليلُ منها فهو ضحيان

شمسٌ أظلَّتْ بليلٍ لا نجومَ لهُ إلا نجومٌ لها في النَّحرِ أثمان

نرى صورة الوصف للمرأة والعادات البذح التي صورها ابن الرومي عند الفتيات ذلك العصر، وصورة لنفس الشاعر المتدفقة على الطبيعة بكل ما فيها من جمال وحياة وحب، ميالا إلى جمال المرأة أينما لمحها فهي موطن الأنوثة، ولها مكانة عنده، ويرى فيها آمال والشهوة الحسية، وكان يزداد حبه لها إذا أجمعت إلى أنوثتها جمالا وصوتا جميلا يطرب النظر، أي أضافت إلى أنوثتها ما يقوي فيهم الشهوة، ويعتبرها مظهر من مظاهر الطبيعة وحالاتها، ويفتتح قصيدته "النونية" بجمال المرأة التي صورها بالشجرة المثقلة بالفاكهة الشذية الشهية، حيث قال[1]:

أجنَّتْ لكَ الوجدَ أغصانٌ وكُثبانُ فيهنَّ نوعانِ تُفَّاحٌ وَرُمَّانُ

وفوق ذَينكَ أعنابٌ مُهَدَّلةٌ وتحت سُودٌ لهن من ظلماء ألوان

هاتيك أعنابٌ تلوحُ به غصونُ أطرافهُنَّ قلوبُ القومِ قِنوانُ

بأن عليها الدهرَ فاكهةٌ وما الفواكه مما يحملُ البانُ

فهنا ابن الرومي يبرز محاسن مختلفة للجمال الذي يشكله جسدها، حيث يشتهي بوصف جمالها فيصفها بأنها غصون تحمل فاكهة ناضجة، فالكثبان هي الأرداف والتفاح هو خدودها والرمان عبارة عن النهدين، والأعناب أظافر.

وقال أيضا[2]:

ونرجسٌ باتَ ساري الطلِّ يضربُهُ وأقحوان منيرُ النورِ ريَّان

أُلِّفنَ من كلِّ شيءٍ طيِّبٍ حسنٍ فهُنّ فاكهةٌ شتَّى وريْحان

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج6، ص173.

(2)المصدر نفسه، ج6، ص173.

وصفها بالنرجس الذي لا يجف أعواده الريحانة، ووصفها بالكثرة وجمالها بطبعه الريحان المستور، رغم قناعته في إطار التمثيل بالطبيعة أن «جمال الطبيعة الخارجية الصامتة هو أدنى أنواع الجمال»[1]

وقال أيضا :

بين أجفانه عُقارٌ تدورُ وعلى وَجنتَيه وَردٌ نضيرُ
وله بين حُلَّتَيه من البا ـن قضيب حواه دِعْص وَثيرُ
لو رأته حور الحنان لحَارت منه في خالص الجمال الحورُ
ما لأهل الجفاء في هجره عذ ـرٌ وفي هجرهم هو المعذور

فالمرأة هي تضفي الجمال على الطبيعة، فتعد طبيعة مألوفة ونمنحها سحرا خاصا، وتعتبر طبيعة سحرية في قوله قصيدته النونية[2] :

يغيمُ كلُّ نهار من مجامرها ويُشمسُ الليلُ منها فهو ضحيان
كأنَّها وعثانُ النّد يشمُلها شمسٌ عليها ضباباتٌ وأدجان
شمسٌ أظلَّتْ بليلٍ لا نجومَ لهُ إلا نجومٌ لها في النَّحرِ أثمان
وتَلْبَسُ الحليَ مجعولا لها عُوَذاً لا زينة بل بها عن ذاك غُنيان

ففي هذه الأبيات يؤكد الشاعر على صفة جمال عند المرأة، ويرى أن الليل يتحول إلى شمس مشرقة في الليل، وذلك لإبراز جمالها وتلاؤمها ، وأفضل شيء يصفها به هي الشمس، لأنها تعبر عن البهجة والإشراق .

(1) محمد مرتاض، مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم، ص 20 .
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج6، ص 176.

2. حسن الرجل:

ويرى شاعرنا أن الجمال لم يكن أبدا حكرا على نواعم ربات الحجال وأميراته، بل إن للرجال نصيب فيه فهو الجمال زينة يتحلي به طلائع الرجال، «تلك الحقيقة الباطنة التي تبتدئ من وراء هذه الصورة، وهذه الحقيقة إنما هي الجمال بعينه»[1]، فيقول: [2]

والبسْ جمالك عند كلّ قبيحةٍ إن التجمّـلَ بالرجـالِ جميـلُ
مـاذا يضـرُّ فتًـى جلـيلاً قـدرهُ من أن يدقّ المدحُ وهْو جليلُ
وأحــقُّ زوجٍ أن يُنــتّجَ شــكْله حسـناء تُـذكرُ عـاثرٌ ومُقيـلُ
أفيُغفـرُ الكفـرانُ وهْـو كبيـرة ويؤاخــذ التشــبيهُ والتمثيــلُ
فعلامَ أُعذلُ في امتثال مقالة قد قالها جيلٌ سواي وجيــلُ

فكما كان يكبر قدر الرجل والتجمل نفسه كان المديح يغطي المساوئ ويظهر المحاسن لذلك رغب فيه معشر الرجال بكل اطيافهم الاجتماعية، فالجمال الروحي يكمن في الأخلاق والخلق وأن الأخلاق تنور كنوز المصباح في قلوب الناس، وإن كان هناك نور كانت هناك ألفة وخير والعكس صحيح، وهنا يوضح ابن الرومي مدى تناسق الجمال والخير ولا يمكن الفصل بينهما، ربط الجمال الحسي بالجمال المعنوي، لأنه راءه يقوم النفس على الراحة والطمأنينة وهذا الجمال دليل على جمال الروح، ولننظر قوله : [3]

ألقى الكسوفَ على المديح وسيْبُهُ كاسي المديح جَمَالَه فضَّاحُه
فبمــا اعــتلاه بــدا عليــه كســوفُه وبما كساه تَلألأتْ أوضاحُه
كــائنْ لــهُ حَــزْمٌ إلــيَّ يروقنــي حُسْناً ويَقْبُحُ عندي استقباحُه
أنشدْته مدحي فأنشد طَوْلَهُ تَئِقُ السَّمَاح بمالِه نَفَّاحُــه

(1) صالح أحمد الشامي، ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام، ص 28 .
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج5، ص 226-227.
(3) المصدر نفسه، ج2، ص 58.

بل ويرى ابن الرومي أن للجمال مظهرا مختلفا فهو راسخ باق حتى أن الميت لا يأخذ منه الموت روحه فقط بل يأخذ منه جمال صنيعه،«فالجمال إبداع فني يتجاوز النقل التصويري، فقد حبا الله المبدع وسائلا تجعل من لحظة الإبداع لحظة للخلق، يستنشق فيها نسمات القداسة وتفتح أمامه أبواب الإعجاز»[1] فقال: [2]

سلبَ الزمانُ جمالَه عن نفسهِ فغدا وراحَ وما عليه جمالُ
ذهب الذي نالتْ يداه من العلا ما لا ينالُ من المديحِ مقالُ
ياسوءتا للأرض كيف تماسكَتْ وقد استُزيلَ وحقُها الزلزال

لقد استغرقت موضوعات الشاعر في إبداعه الفني أغلب معالم الإبداع ولعله في وصفه لها كان يتأمل تلك العناصر فتنفجر فيها القيم، «فالجمال إشعاع من قداسته وبعض من حقيقته المطلقة»[3].

ونخلص في أمر تجلي الجمال إلى أنه يشمل صفات الفخر والمجد، ليعتبر أن مجموع صفات الفخارالعربي في جاهليتهم لها جمال يمكن تسميته بجمال المروءة«فالجمال الأصيل يعود إلى الفكرة الجميلة»[4]، ليقول: [5]،

قُلْ لمنْ ألبسَ الجمالَ جمالا بالمعاني وهيبةً وجلالا
أيُّها البدرُ لا تزل في كمالِ الـ أمرِ بدراً وفي النَّماءِ هِلالا
يا عليّ المكانِ لا يتعالى كوضيعٍ مكانُهُ يتعالى
شكرَ اللَّهُ بذلكَ القُربِ للنا سِ وإغناءَ فضلكَ السؤالا

(1) سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون أنموذجا، ص22 .
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج5، ص 146.
(3) المصدر نفسه،ج 5،ص20 .
(4) عدنان رشيد، دراسات في علم الجمال، ص 9 .
(5) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج5، ص 98.

وهكذا فالجمال عند ابن الرومي «جمال فني خالص يأتيه من قبل اللفظ، وأحيانا من قبل المعنى، وأحيانا من قبلهما جميعا، ومهما يختلف حظ الشعر من هذا الجمال ومهما يختلف ذوق النقاد ورأيهم في هذا الجمال فإن للشعر منه حظا»[1]، أما موضوعاته فوصف سحر الطبيعة وفي سحر المرأة ويعتبره الجني الأنيس الذي يصادفه في وصفه؛ وقد كان يتذوق الجمال بمقدار ما كان ينفر من القبح، كما اعتبره فن لا ينتهي والشيء الجميل يبقى جميل مهما أدامت إليه النظر، وهو يحاول أن يكشف سر الجمال وأن يصور اللذة التي يحدثها في النفس، التي تحدث «عند رؤية الجمال الأرضي يذكر من يراه بالجمال الحقيقي، وعندئذ يحس المرء بأجنحة تنبت فيه وتتعجل الطيران ولكنها لا تستطيع، فتشرئب ببصرها إلى أعلى كما يفعل الطائر، وتهمل موجودات هذه الأرض»[2].

ثانيا: الحب:

بحكم أن الحب عند ابن الرومي عطاء لا حدود له وقيمة إنسانية عظيمة، كان حضوره في كثير شعره وفي عديد أغراضه، فقد كان استخدامه موافقا للتصور الحضاري المعاش والذي لخصه قول «معاذ بن سهل: الحب أصعب ما رُكب، وأسكر ما شُرب وأقطع ما لُقي، وأحلى ما اشتُهِي وأوجع ما بَطَن وأشهى ما عَلَن»[3]، وكان شعره يزخر بوصف مشاهد الحب في فرحه وألمه، وكانت تمثل التطور العاطفي، واعتبر من مظاهر الحرمان، وكان يهتم بالتفاصيل العاطفية وحالات حب وفراق وعتاب، فعاش وتعايش مع هذه العلاقات عاطفية وتغنى بها في أبيات شعرية، وقبل أن نتطرق إلى هذا الموضوع المتشعب، نقف على السؤال ما هو الحب؟ وما حظ ابن الرومي منه؟

(1) طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط 13، 1979م، ص 312 .

(2) شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس،2001م، ص13.

(3)أحمد تيمور، الحب والجمال عند العرب، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1978م، ص 13.

فالحب «هو نقيض البغض، وهو الوداد والمحبة والميل إلى الشيء السار، والغرض منه إرضاء الحاجات المادية والروحية»[1]، فهو عبارة عن مشاعر ايجابية وعبارة عن حالات عاطفية وعقلية قوية يقف تجسيدها عند وصف أحدهم، «إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة، وانبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة، فيصور من ذلك خلق حاصر للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب»[2]، أما حظ الشاعر منه فبالنظر لحياته التي أصابها الانشغال الاجتماعي، فقحط وجفاف عاطفي لم يمكنه من خلق مشاعر وأحاسيس غزلية كثيرة، يمكنه الاعتراف بها والجهر بحيثياتها بإمتاعه الفني المعروف في غيره من الموضوعات الأخرى، وهذا ما حول الحب عنده لفلسفة جمالية عوض النظم فيها حقيقة التجسيد الواقعي لتلك التجارب المعدودة في حياته، وإن شغلت حيزا مهما في منتوجه الشعري، فالحب في الأعماق زرع كما يذكر شاعرنا[3]:

ازرع الحُبَّ تَسْتدمْهُ فَمِمَّا رُدَّ مزر وعه أتَى مَطْحونه
كلْ وأطعمْ فربما راعَ ريْعاً زاكياً ممن تعولُه وتَمونه
لا تَفرَّدْ بأكل مالٍ ولا تَمْـ ـنُنْ بعُرْفٍ فَشَرُّهُ مَمْنونه

لأن الدارسين يرون ابن الرومي لم يكن عاشقا حقيقيا في مرحلة من حياته، وذلك بسبب تكوينه النفسي وكوارث حياته الأسرية وكان فحشه وهجاءه بسبب أزماته العاطفية، وفشله في مضمار حب الحقيقي، يعتبر الحب امتحانا نفسيا لا ينجح فيه إلا الصادقون الأصفياء أهل العشق الروحي، فيقول[4]:

(1)محمد بوزواوي، معجم المصطلحات الأدب،دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م، ص 119.
(2)أحمد تيمور، الحب والجمال عند العرب، عيسى البابي الحلبي وشركاه،(د.د) ،(د.ب) ، (د.ط) ، 1978م، ص 13.
(3)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج6، ص 227.
(4)المصدر نفسه، ج3، ص91-92.

الحـــبُّ داءٌ عيـــاءٌ لا دواء لـــه تضـــلُّ فيـــه الأطبـــاءُ النحـــاريرُ
قد كنتُ أحسبُ أنّ العاشقين غَلْوا في وصفه فإذا في القوم تقصير
سُقيا لأيام لم أخْبُرْه تجربة إلا بما وصفتْ عنه الأخابير

فابن الرومي تعددت أوصافه في الحب والغزل في شعره وجاء غزله ما هو حسي وما هو معنوي ومن وصفه الحسي "شاجي" المغنية[1]:

يتلقـــاك فـــي غلائـــل منهـــا وجهُ شمسٍ وجسم دميةِ عاجٍ
أَســبلت مــن ذراه جعــداً أثيثــاً جــائزاً حــدَّ متنهــا الرَجــراج
طلعــت فــي لَبُوســها وحلاهــا كــمَهاة فــي روضــة مِبْهــاجِ
ثم قالت بطرفها ؟ سوف تدري فأضافت عليَ رَحْب الفجاجِ

يذكر النقاد أن غزل ابن رومي في معظمه كان ماديا، يسعى إلى تحقيق اللذة والمتعة، إلا أننا في بعض أقواله نقع على كثير من الدلائل الجميلة في تصوير الحب؛ كرؤيته فيه بأنه إحساس بالآخر مهما كانت صفته، وإعلان حالته أول تأكيد على بيع النفس في سبيل العشق الصافي، فلننظر قوله»[2]:

تُرَى الأيامُ تُدْنِي بعدَ بُعْدٍ وتُعطينا اجتماعاً والتئاما
وتَشفِي من جَوَى الأبراحِ صبّا يكاد يموتُ سُقماً واغتماما
فكُفّا بالذي أبلى وعافى عن المشغولِ بالحُبِّ المَلاما
تُراني أبدعَ العشاقِ عِشْقـــــاً وأولَ هائمٍ في الحب هاما

ومهما قيل في جماليات هذا اللفظ الملائكي الحالم، فلن يجد أفضل من وصف ابن الرومي فيه؛ فالحب دفتر الذكريات الجميلة يكتب فيه العاشق نخب وداده، ليتحول قلبه

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج2، ص19 .
(2)المصدر نفسه، ج6، ص163.

زهرة تعبق بالشذى الناعم، يقول[1]:

الحُــبُّ ريحــانُ المُحــبِّ وراحــه	وإليه إنْ شحطتْ نَواهُ طِماحُه
يغــدو المحــب لشــأنه وفــؤادُهُ	نحـوَ الحبيـب غُـدُّوهُ ورواحُـهُ
عندي حديثُ أخي الصبَّابة عن حَشَا	لــي لا تــزال كثيــرةً أتراحُــهُ
أصبحتُ مملوكاً لأحسن مالك	لو كان كمَّل حُسْنَهُ إسجاحُهُ

الحب كما يقول نزار قباني ديانة أخرى واستعباد بشري لكيان جديد، فالعاشق يؤثر معشوقه بكل مشاعره وعواطفه، حتى يستحوذ عليها جميعها؛ فيكون في أجمل سجن ومملوكا لأرق وأعذب سجان، وموثق بألطف أصفاد ويرتاح في سجن المحبة، ما يقوى على بذل ثمنه ويأمل منح عمره ليبقى رهين ذلك الاعتقال، فحين يحب العاشق تتحول حياته وتتبدل قناعاته فيكون كما الجريح بين طبيبه يجرحه فيكتم الألم فشفاؤه في آلام تلك الرموش وبين تساؤلات أولئك العواذل .

كما يقول أيضا[2]:

ويُشــــمُّني تُفَّاحَــــهُ أوْ وَرْدَهُ	ذاك الجَنِـــيُّ وورْدُه تفاحـــهُ
ظَبْيٌ أُصِحَّ وأُمْرِضَتْ ألحاظُه	والحسن حيث مِراضه وصحاحُه
يغـدو فتكثـر باللحـاظ جراحُنـا	فـي وجنتيـه، وفـي القلوب جراحُـه
مَنْ قائلٌ عني لمن احبَبْتُهُ	هل يُنقعُ اللَّوْحُ الذي ألتاحُه ؟

فهذه الأبيات يملئها التفاؤل بالحياة والحب والغرام، الذي يكنه ابن الرومي للطبيعة والتي ملأت قلبه حبا ومودةً، فبادر باقتباس أجمل عناصرها التي ترتاح عندها نفسه، وتنبض فيها بالحياة.

(1) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج2، ص54.

(2)المصدر نفسه، ج2،ص55.

كما همس الشاعر في الحب وجعل رسائل المحبين لا صوت لها ولا أوراق وأقلام فحبرها أجفان ألحاظ تخادع الرقباء وشوق كالسهام للقلوب دون صدى ترشق في الأشغاف في غفلة حتى عن العشاق، انظر قوله[1]:

عينُ المحبِّ إلى الحبيبِ سريعةٌ والعينُ تألفُ شخصَ من يَهْواها
لا تجزعَنَّ من الصدود فإنما غرض المفَدّي أن يرى تَيَّاها
حُكماً بأن النفسَ تبغي شكلَها والشكلُ إلفٌ لا يُحِبُ سِواها

هنا كان شاعر يوضح لنا حبه وفتنه بكل عضو في جسد صاحبته، وكلما تركت العين رجعت إليه مفتونة وهذا بحبه لها والتعلق بها والافتتان بنفس أحبها وأكبر شأنها في فؤاده، وها هو يصور صاحبته عاشقة، تتجشم الأخطار لتصل إليه، ثم تبوح بحبها له وقال[2]:

زارت على غفلةٍ من الحَرسِ تُهدي إليّ السلام في الغَلَس
أنّى تجشمت نحو أرحلنا الـ ـهول ولم ترهبي أذى العسس
قالت: ترامي بنا إليك من الشـْ ـشَوق مُغصٌّ بالبارد السَّلس
كم زفرة لي تبيت تُنهض أحـ شائي ودمع عليك منبجِس
عجبْتُ من ذِلَّتي ومن قلبك الـ ـقاسي علينا وخُلْقِكَ الشَّكِس

فهنا حبيبته متحسرة على قسوته عليه وعدم الالتفات إليه ولم يعرج حتى وهي متشوقة إليه وذلك ببرودة أعصابه والبكاء عليه كل ليل والذل الذي قوبلت به من عنده.

إلا أن مستوى الإحساس بالحب عند ابن الرومي يتجلى لنا في صورة قصيدته الدالية في وحيد، فما كان من اعترافات حب شملتها مقتطفات أو أبيات قليلة نتيجة عدم نجاحه في علاقته بالنساء، نظرا لخشيته الاعتراف بحبه ومواجهة الحبيبات، فأغلب تلك

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج 6، ص 357.
(2)المصدر نفسه، ج3، ص 314- 315.

الاعترافات دنكيشوتية لا تتجاوز القول الشعري، ولعل رائعته الغزلية في وحيد المغنية كانت واحدة من قصائد قليلة تفردت في حديث الحب والعشق وهي دليل على تردد ابن الرومي في حبه، ويقول فيها[1]:

يـــا خَلِيلَـــيَّ تَيَّمَتْنـــي وَحيـــدُ فَفُؤادي بهـا مُعَنَّـى عَمِيـدُ
غـادةٌ زانهـا مـن الغُصْـن قَـدٌ ومـن الظَّبـي مُقلتـان وجِيـدُ
وزهاها من فَرْعِها ومن الخدَّ يْـنِ ذاك السَّـوادُ والتَّوْريـدُ
أوقـد الحسْـنُ نـارَه مـن وحيـدٍ فـوق خـدٍّ مـا شَـانَهُ تخْدِيـدُ
مـا لمـاءٍ تصطليه من وجنتَيْها غيـر ترْشـافِ رِيقِهـا تَبْريـدُ
وغَريـرٍ بحسـنها قـال صِـفْها قلـت أمْـران هَـيِّنٌ وشـديدُ
يسهل القول إنها أحسن الأشْـ ـياءِ طُرّاً ويعْسرُ التحديدُ

هكذا الأمر في اعترافه لصديقيه بحب وحيد، وما تبع ذلك من هيام وتصوير لحب ينبع من أعماق وجدانه، ولم يتجاوز بنات شفته ولم يختبر إحساس الطرف الآخر، فالقصيدة نوبات اعتراف نفسي خاص، لكن اعتبرها النقاد من أبرع ما قيل في شعر الحب والغزل، ولعل ذلك ما جعلها تبلغ آفاق الإبداع الشعري في عصر صاحبها وفي كل عصر بعده، بما شملته من مزج بين الشكوى والوجد، وذكر محاسن حبيبته التي تيمته صفاتها، وامتلك عليه حبها فهي غادة حسناء يذيب القلب تأملها، ونغمة سحر تمتلك الألباب فتتيم القلوب.

كما تحدث عن حبه لوطنه وانتمائه له قائلا[2]:

وحبَّبَ أوطان الرجال إليهمُ مآرب قضَّاها الشبابُ هنالكا
إذ ذكروا أوطانَهُم ذكَّرتْه عُهودَ الصبا فيها فحنُّو لذلكا

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج2، ص 265 –266.
(2)المصدر نفسه، ج5، ص 19.

فهنا يعبر شاعرنا عن مدى حبه لوطنه ووطن الرجال والشباب الذي كان معهم، رغم إضطربات التي كان يعيشها من ألم وفقدان الأهل والذل إلا أنه تذكر أيام الصبا .

وهكذا نستخلص أن الحب والجمال صنوان سكنا فؤاد الشاعر، فكل ما صدر عن قلبه شيء جميل وأثر هذا الجمال في الصور ما يقع به العشق والهيام والشوق والاغتراب، وكان هذا الحب وراء حجاب الصور والمشاهد، يؤكد رغبة ابن الرومي في الاستمتاع به وإمتاع أسماعنا بكل ما هو جميل في الحياة، كل ذلك يؤكد سمو نفس شاعرنا وتعظيمه الشعر كوسيلة ناشرة للقيم الكبرى في حياة الناس، لا كما كان يراه النفعيون من نظاميه.

ثالثا: الألم

يعتبر الألم من أقدم الموضوعات التي سايرت حياة الإنسان منذ ولادته حتى مماته، فهو جِبْلَة إنسانية أودعها الله عز وجل على قلوب البشر، باعتباره قيمة تسري في وجدان الناس من جراء المصائب والمحن، ويعبر عنه بانفعالات عديدة لكونه المرآة الصادقة التي تعكس نفسياتهم وتخفف عنهم حجم المصيبة أو الهم إزاء فقد ما.

ويرى محمد بوزواوي أنه «شعور نفساني يغير النفس كلها، ويرادفه الغم والهم والكآبة والحزن، وقد يحصل الألم للنفس بالعرض كوقوع مكروه، وإما أن يحصل لها بالطبع لانطواء مزاجها على القلق والاضطراب»[1].

كما يعرفه أهل اللغة «بأنه الوجع، أما عند الفلاسفة فهو حالة نفسية يصعب تعريفها وتتميز بإحساس مادي ومعنوي بعد الراحة أو بالضيق أو بالمضض»[2]، ونستنبط مما

(1) محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، ص121.

(2) منيرة بنت مرعى بن راشد الزهراني، صورة الألم النفسي في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد السادس، العدد الثاني، سنة 2018م، ص 491.

سبق أن الألم حالة نفسية تصيب فؤاد الإنسان وتدخله في دوامة حزن ويأس وضيق بسبب فقدان عزيزا أو تألمهم عن أنفسهم، مما تجعل قريحتهم تنفجر أسى وحرقة.

ويقول أيضا الأديب الفرنسي "أنا نول" «أن الشاعر يجمع هوائج النفوس فيبعث حياة كل واحد من البشر يشعر بفرح كل من يفرح، ويحس بألم كل من يتألم في هذا العالم»[1]، مما يدل على أن الشاعر يحس بعواطف الإنسانية ومكنوناتهم النفسية، ويتفاعل مع شعورهم سواء في الفرح أو الحزن، وهذا ما نراه في تجربة ابن الرومي فلعل ما كان من شعوره بالألم، إنما كان مرده إلى استعذابه الجمال الذي كان ضالة المبدعين، ومنه شعراء في عصره وغير ذلك فانشغلت به الأذهان، وعَدّ الدارسون تعبيره عن الألم من فلسفة في أجمل ما تجسده الكلمات، يقول[2]:

شُعِفَتْ به فأذاقها طرفا مما تُذيقُ مُحالفَ الكتَم
فبكتْ بدمعٍ لا يُجادُ به إلا لذي قَدْرٍ من الألم
من مقْلةٍ سقمَتْ فغايتُها إعداءُ ما فيها من السَّقم

فمما لاشك فيه أن الألم هو شعور إنساني يعبر عن معاناة الشاعر وحالته النفسية «محولا دفة شعوره نحو الأهل من الحزن إلى الذكرى، محاولا طي كل إحساس بالألم والحزن ويحل محله إحساس الشغف والإعجاب، وقد ارتأى أنها طريقة مناسبة للتخفيف أفضل من تهييج إحساس ألم الفقد»[3]، فقد فَقَدَ ابن الرومي أولاده الثلاثة وأمه وزوجته وأخاه معيله، مما جعله « يستشعر في أعماقه حزنا ممضا، فكان شعوره بالبؤس والحرمان يضاعف حزنه، وكأنما الحياة كلها أمامه أحزانا ومأتم»[4]، التي تعكس حجم المعاناة التي يكابدها من جراء المآسي والمحن التي وقعت على نفسه وفجرت قريحته، ومن أشد الآلام

(1) أديب فارس، الرثاء بين أبي تمام والبحتري والمتنبي، مطبعة الاعتدال، سوريا،(د.ط)، 1932 م، ص 15.
(2)ابن الرومي،الديوان،شرح:عبد الأمير علي المهنا،ج6، ص83.
(3) سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون أنموذجا، ص87.
(4) حنا الفاخوري،الجامع في تاريخ الأدب العربي،ص317.

التي أشعلت وجدانه حرقة رحيل ابنه الأوسط، وعبر عنها بقصيدة طويلة عاطفة صادقة يكشف من خلالها عن إحساس النفس البشرية في مفارقتها لفلذة كبدها، ولننظر قوله[1] :

بكاؤكُما يشْفي وإن كان لا يُجْدي فجُـودُا فقـد أوْدَى نظيركُمُـا عنـدي
بُنَـيّ الـذي أهْدَتْـهُ كَفّـايَ للثّـرَى فَيَا عزّة المُهدي ويا حَسْرة المُهدي
ألا قاتَل الله المنايا ورَمْيَها من القَوْم حَبّات القُلوب على عَمْد

نراه من خلال هذه الأبيات يعبر عن محنته الأليمة خير تعبير، بعبارات مثقلة بالحزن والوجع، جعلته يخاطب عينيه ويطالبهما أن تفيضا بالدموع لكونها دلالة من دلالات الحزن، فالبكاء بمثابة الماء البارد الذي يطفئ نار الحرقة المشتعلة في وجده، كما يعتبرها دواءً لداء الألم وشفاءً لجرح الفقد، وهو يعلم أنها لا تجدي نفعا في تغيير القدر، معتبرا ذلك نظير فقد عينيه التي يبصر بها، وعبر بتحسر كيف أنه دفن ابنه تحت التراب، وكأنه يهدي القبر هدية وبداخله لوعة كبيرة، بل الأكثر من ذلك ثورة ابن الرومي على الموت وتمثيلها في شكل إنسان الذي يخطف الأشخاص، لظنه أنها تتعمد في اختطاف فلذات أكباد الناس، وكأنه يعاتبها لأخذ جزء من قلبه، بكلمات تصدح بالأسى واللوعة، ليعكس لنا حجم الفاجعة التي لا تكاد أن تمحى من ذاكراته، فهكذا «يصبح "ابن الرومي" مصورا بارعا يعيد إلى الناس ما شاع فيهم (...) وهكذا تصبح العملية الفنية للشعر وكأنها تجري في الذهن الخالي دون المرور في النفس الشاعرة»[2].

تعد مصيبة الشاعر في فقدانه لولده من أشد وأمر المصائب التي نزلت عليه، فقد كانت لها أثرا عميقا في نفسه، وذلك جعله يرفض حقيقة موت ابنه، ويتعجب من القدر متسائلا كيف استطاع الله أن يختار ولده الأوسط، ومن ذلك قوله: [3]

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الامير علي مهنا، ج2،ص145.

(2)حسين الحاج حسن، أعلام في العصر العباسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1975م، ص279.

(3) ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج2، ص145-146.

تَوَخّى حمَام الموْت أوْسَطَ صبْيَتي فلله كيف اخْتار وَاسطَةَ العِقْد
على حين شمْت الخير من لمحاته وأنست من أفعاله أية الرشد
طَوَاهُ الرّدَى عنّي فأضحَى مَزَارُهُ بعيداً على قُرْب قريباً على بعد
ألَحّ عليه النّزْفُ حتّى أحالَهُ إلى صُفْرَة الجاديّ عن حُمْرَة الوَرْد

ولعل هذه الأبيات تمثل مأساة إنسان يحترق قلبه على قرة عينه، وتصور حالة كل أب يبتلى بموت واحد من أولاده، حيث نراه يتأوه ويتوجع على فقدان قطعة من قلبه، فقد رسم لوحة حزينة مفعمة بالحزن والحسرة يصور فيها حجم الألم الذي بداخله وحرقة وجده على ثكله التي أخذته المنية منه، بعد أن شب وبلغ سن الرشد، ثم يشتكي بأسى وحسرة بعده عنه بالرغم من قرب قبره منه لكن روحه بعيدة وإذا غابت النفس ليس للجسم معنى، ثم يصف حالة احتضار ابنه والمرض ينهش جسمه حتى أحال لونه من الاحمرار إلى الاصفرار الذي يرمز للذبول، وهذا الموقف من أكثر المواقف استفزازا للمشاعر الإنسانية، وتأثيرا على النفوس، مما يدل على صدق شعوره «أنه مهما تعددت أساليب الشعراء للتعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم، ومدى وقع مصيبة الفراق والموت على أنفسهم وقلوبهم، وانفعالاتهم النفسية مع الحدث المفجع، إلا أنهم يشتركون جميعا في صدق العاطفة»[1]، فهي التي تظهر مدى تأثر الشاعر بالحدث الأليم الذي وقع على نفسه، بغية تأثير في المتلقين وإشراك مأساته الإنسانية معهم .

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب قصائد ابن الرومي انطلقت من تجاربه الأليمة، وظروف حياته القاسية التي تعبر عن مأساة فقدان أقرب الناس إليه، والغاية منها نقل تجربته الحزينة عبر شعره،« فكان كل ما فيها يبعث الحزن واليأس، وهذا لهما أكبر الأثر في صقل النفوس، وفي التأثير على نظرة الإنسان للوجود والأحياء»،[2] فالإنسان بطبعه

(1) محمد عبد القادر حسن غنيم، رثاء الأبناء في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه، أدب عربي، كلية الدراسات الشرقية، جامعة البنجان، بكستان، ص 65.

(2) عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي، قضايا وظواهر، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2008م، ص119.

عندما يصيبه بلاء أو مكروه تجده يتأمل في الكون وفي الوجود الذي يعيش فيه، ويفكر في الموت الذي تترك فراغا كبيرا في نفس الإنسان، وجراحا تتقطر ألما على من فارقوا الحياة، ومن مثل ذلك فقدانه لزوجته مما خلفت في نفسه حزنا عظيما، وقد عبر عن ذلك بقوله[1]:

عينـــيَّ شُـــحَّا ولا تَسُـــحَّا جلَّ مُصابي عن البكاء
تركُكُمـــا الـــداءَ مُســـتكنّاً أصدقُ عن صحة الوفاء
إن الأســـى والبكـــاءَ قـــدْماً أمـــران كالـــداء والـــدواء
ومـــا ابتغـــاء الـــدواء إلا بغيـــا ســـبيل إلـــى البقـــاء
ومُبتغي العيش بعد خلَ كاذبة خُلَّةَ الصفاء

إن هذه الأبيات تنم عن ألم الشاعر في فقد زوجته، حيث نراه متحسرا على فراق رفيقة دربه وأم أولاده فنراه يخاطب عينيه وينهاهما عن الدموع، لكي لا يشفى من داء الحزن باعتباره وسيلة لتخفيف من حجم المصيبة وإطفاء حرقة الموت، هذا ما جعله يمنع نفسه من البكاء ليدل بذلك على حزنه العظيم ووفائه لزوجته، كما يعتبر الدموع سبيلا لاستمرار الحياة بعدها، لكن الشاعر لا يريد العيش من دونها، ثم يكشف بأن الحياة من دونها كذبة ليس لها طعم ليؤكد بذلك على غصته عليها وإخلاصه لها، وما نلحظه على هذه المقطوعة اعتماده على العقلانية في بث حزنه التي «تركت في نفسه ملامح واضحة، وفي شعره مسحة من المنطقية غير خافية، على الرغم من أن الموت يضرم حالة لاعقلانية في الإنسان، لكن ابن رومي حاول أن يقبض العقلية في رثائه لزوجته»[2].

لقد ازداد ألم ابن الرومي بفقدانه لوالدته، فكان له أثرا بالغا على نفسيته فلوعة فراق الأم الحقيقية لا يشعر بها أحد إلا من عايشه، فهو من أصعب الفراق، فالأم هي العطف

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص 57.
(2) ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص95.

والرحمة ونبع الحنان، وفقدانها من حياة الإنسان فكأنما فقد كل شيء جميل في الحياة، ولعل هذا الإحساس القاتم جعله يعبر عن مأساته بكلمات تتقطر دما من جراحه وبإحساس حزين، ومن ذلك قوله : [1]

أفيضا دماً إنّ الرزايا لها قيمٌ فليس كثيراً أن تجُودَا لها بدم
ولا تستريحا من بُكاء إلى كرّى فلا حمد ما لم تُسعداني على السأم
ويا لذة العيش التي كنتُ أرتضي تقطَّع تقطع ما بيني وبينك فانصرمْ
فقدت رضاعا من سرور عهدتها تعلّلنيه فانقضى غير مستتم
رضاعْ بنات القلب بان ببيّنها حميداً وما كُلُ الرُضاع رضاع فم

وما نلحظه من هذه الأبيات أن فقدان والدته خلف في فؤاده جراحا عميقا ظل ينزف ألما طول حياته، فموت الأم ليس بالهين فبمجرد تخيل الموقف تشعر بغصة تنخر الفؤاد، وتشعل الوجدان فكيف إذا كانت واقعا، لذا نجد ابن الرومي يعبر عن وجدانه المتألم في محنة فقدان نبع الحنان، «فهو يعبر عن مأساة النفس تحت وطأة الفجيعة، ويبوح بغنائية النفس وشجو عما يخالجها من أسى وقنوط»[2]، ومن الواضح من كلام الشاعر أنه يفصح عن حرقة وجده بمخاطبة عينية وأمرهما بذرف الدم بدل الدمع من دون أخذ راحة، لان البكاء يخفف من حجم الفاجعة، لكنه هو يريد تعظيم حجم المصيبة التي نزلت عليه ليكشف عن عمق حزنه، كما يظهر لنا قلة صبره وانكساره بصدحه أن ببعدها عنه انقطعت أواصر العطف والحنان، كما فقد طعم الحياة، وفطم على الرضاعة فهو ليس يقصد بها رضاعة الفم التي تخص الأطفال وإنما يخص بها رضاعة العقل والروح بمنحه الحب والعطف والحنان، وغرس فيه مبادئ الأخلاق والدين والتربية الصحيحة .

(1) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج6، ص 64.
(2) – إيليا سليم الحاوي، ابن الرومي سنه و نفسيته من خلال شعره، ص123.

وعلى غرار ذلك نجد عنده أشعارا أخرى يخص بها غير أهله، يفيض فيها ألمه وتحسره على من فقدهم ممن يحبهم، «فالشاعر لا يندب نفسه وأهله فحسب بل يندب أيضا من ينزلون منزلة الأهل والنفس ممن يحبهم ويؤثرهم»[1]، وقد عبر ابن الرومي عنهم بأبيات يظهر فيها وجعه وتحسره على من فارقوه من أحباب، كجزعه على بستان المغنية، وذلك بتعبيره عن تجربة صادقة ووصفه لمشاعره الذي يطغى عليها الأسى والحسرة، إذْ نحس فيها تشابكا بين عواطفه، فقد مزج ابن الرومي بين أساه على بستان وحبه لها، هذا ما خلف في نفسه ألما عميقا، وذاك يتجلى في قوله[2]:

بستان يا حسرتا على زَهَرٍ فيك من اللهو بل على ثمرِ
بستان أضحى الفؤاد في وَلهٍ يا نزهة السمع منه والبصر
بستان ما منك لامرئٍ عوضٌ من البساتين لا ولا البشر
بستان أسقيتِ من مدامعنا الدْ دِّمع وأعقبت عُقبةَ المطر
وغاب عنا السرور بعدكُمْ واحتضر الهم حين محتضر

يصور لنا في هذه القصيدة مدى حسرته وأساه على المغنية بستان، حيث يتجه يخاطبها بكلمات تنزف ألما يخبرها بان فقدانها أفقد عنده أيام اللهو وكاد أن يذهب عقله من شدة حزنه عنها، ثم يعبر لها بمرارة حارقة أن مكانها لا يستطيع أحد من البشر أن يخلفه وحتى بستانها لا يعوضه بستان آخر، هذا ما جعل الشاعر يبكيها بكاءً مرًا، باندفاع دموعه بغزارة ليفصح عن شجوه، ويعلمها أنها ببعدها غاب عنه الفرح، وجفت النعائم، وأصبح يشكو غصة في وجده .

كما تجدر الإشارة إلى أن حزن ابن الرومي لم يكن مرتبط بفقدان من هم اقرب إلى نفسه فحسب، بل تعدى ذلك إلى إظهار ألمه وحسرته عن نفسه ومعاناتها من عاهات

(1) شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119هـ، ص05.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج 3، ص24-26.

ذاتية كالصلع وفقدان الشباب لكونه من أفضل وأعظم الفترات التي يمر بها الإنسان، ففيها يبرز ذاته ومكانته في المجتمع ويحقق أماله وتطلعاته، «باعتبارها مرحلة تحقيق الذات، ومرحلة الحب والمدح، ومرحلة نمو الشخصية وصقلها، ولأهميتها أكرم المولى سبحانه وتعالى الداخلين إلى الجنة أن يبقوا في مرحلة الشباب التي هي المرحلة الأجمل في عمر الإنسان»[1] ، لهذا نلمس في بعض نصوص ابن الرومي وجعه وقهره على أحسن مرحلة عاشها في حياته مستمتعا بلذتها، وبين لنا بحرقة وكمد أن انقضاء شبابه يعكر صفو عيشه، وقد عبر عن ذلك بأبيات مثقلة بالحزن والحسرة، ومن ذلك قوله[2]:

يـا شـبابي، وأيـن منـي شـبابي؟ آذنْتَنـــي حبالُـــهُ بانقضـــاب
لهف نفسي على نعيمي ولهوي تحـت أفنانـه اللِّـدانِ الرِّطـابِ
قلـتُ لمـا انتحـى يَعُـدُ أسـاهُ مـن مصـاب شـبابُهُ فمُصـاب
ليس تأسو كلومُ غير كُلومي ما بهِ ما بهِ وما بيَ مابي

والمتأمل في هذه الأبيات حرقة وجد الشاعر على شبابه جعلته يخاطب شبابه فكأنه إنسان يسأله كيف تركه وذهب وانقطعت الحبال التي تصله به ، ثم نراه يتحسر على نعيمه بمرحلة القوة الذي كان يحس فيها بالمتعة وطعم الحياة فيه، كما أراد أن يرفض من يصبره في شبابه، ويعده فاتحا للجرح من جديد، وقد نهاهم عن مداواة كمده وقلبه مشتعلا بنيران الشوق له .

ولا شك أن في مختلف الأشعار منذ القديم إلى العصر الحديث أنها تضم قصائد حزينة على أهم فترة في حياة البشر، لكونها من مراحل القوة الذي يحقق من خلالها الفتى إنجازاته ويعبر عن أرائه «لذا لابد على النفس أن تبكي على أروع مراحل العمر، وأمرعها

(1) – عبير عبد العزيز محمد السهلاوي، رثاء الشباب عند ابن الرومي، مجلة الذاكرة، مجلد08، العدد01، السنة2020م، ص218.

(2)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص388.

وأخصبها ولابد لها أن تشكو ذهوبها وأن ترثي ارتحالها»[1]، هذا ما جعل ابن الرومي يعزي نفسه في فقدان شبابه، فقد كان غيابه بالنسبة إليه، فكأنما غاب وانقطع كل شيء جميل في حياته لكونه نعم المؤنس والمجاور له في المحن، لذا نراه يتأسى عنه ويتألم عن نفسه الذي فارقت أروع مراحل عمره، إذْ يقول[2]:

لا بـدْعَ إن ضـحك القتيـرُ فبكـــى لضـــحكته الكبيـــرُ
عاصـى العـزاءُ عـن الشـبا ب، فمطـاوعَ الـدمع الغزيـرُ
كيـف العـزاءُ عـن الشـبا ب، وغصنُهُ الغصنُ النضيرُ
كيـف العـزاءُ عـن الشـبا ب، وعيشـهُ العيشُ الغريـر؟
سَقيا لأيام مضتْ وطويلُها عندي قصيرُ

ما يظهر من خلال هذه الأبيات إحساس الشاعر المفجوع بشبابه الدال على قلة صبره، وحالته المتألمة التي تعبر عن عدم تحمله وقهره على ظهور الشيب، فقد بكى مرحلة الشباب بحرارة، لأنه بالنسبة له من أجمل ملذات الحياة، لذا نلحظه يسأل نفسه بأسى وحرقة كيف له أن يصبر على الذي يجعل جسمه جسما جميلا وحسنا، وعيشه عيشا طيبا، كما كان له القريب والصديق، ويعبر بحسرة على أيام العمر الممتعة التي مضت معه الذي لم يكن يحس بطولها لحلاوتها وإحساسه بالراحة والسعادة فيها.

وإضافة إلى القصائد الأليمة الذي تأسى فيها الشاعر وأبرز آهاته وأنينه على من فارقوه سواء من أهله، أو ممن يحبهم وحتى أساه عن نفسه، نجده كذلك يعبر عن لوعته على البلدان الذي خربوها الغزاة، بتحسره على ما فعله الطغاة بالبصرة وعن الواقع المؤلم الذي تعيشه «فقد بكاها حين اقتحمها الزنج، ويظهر أنهم كانوا يسمونهم الخسف والعذاب، ويكلفونهم من العمل فوق ما يطيقون، فائتمروا بهم، وما هي إلا أن ثاروا عليهم فقتلـــوا

(1)مصطفى الشكعة، رحلة الشعر من الأموية الى العباسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،ط1، 1997م، ص499.
(2)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج3، ص5.

وخربوا ديارهم وباعوهم في الأسواق بيع العبيد»[1].

لذلك نرى ابن الرومي يتأسى لأجلها ويصور محنتها بعواطف إنسانية صادقة، تدل على تعاطفه الجمعي فقد أظهر وجعه وألمه بأبيات مشحونة بالحسرة والبكاء فيقول[2]:

ذادَ عــن مُقْلتــي لذيــذَ المنــام شُـغلها عنـهُ بالـدموع السـجام
أيُّ نـوم من بعد ما حل بالبصْـ ـرَة من تلكمُ الهنات العظام ؟
أيُّ نوم من بعد ما انتهك الزُنـ ـجُ جهـارا محـارم الإسـلام ؟
إنَّ هــذا مــن الأمــور لأمــرٌ كـاد أن لا يقـومَ فـي الأوهـام
لرأينا مُسْتَـــيْقظين أمـوراً حسبُنا أن تكونَ رُؤيا منام

ففي الأبيات السابقة أظهر لنا الشاعر حالته الحزينة المتأزمة ، وأساه على ما آلت إليه البصرة من دمار وقتل، وانتهاك لمحارمها وحرمة الإسلام خاصة، هذا ما جعله يكتب شعرا يقطر دما ودمعا على ما أصابها، وذابت نفسه حسرة على مأساتها، وقد وجه استفهاما يخاطب به عامة الناس كيف لهم أن يناموا ومعالم البصرة مخربة، ومبادئ الإسلام مدنسة، والغاية من ذلك طلب الغوث والنجدة، واستنهاض ضمائر الأمم الأخرى، ويرى أن محنتها من الأمور التي لا تكاد تصدق حتى في الأوهام، وكأنه أصبح يراها منام وهو يقظ لشناعة النكبة، مما جعله لا يستطيع أن يخفي غصص الحزن الذي في وجده، ويظهر إحساسه بمأساة الإنسانية ومشاركته لألمهم ومواساته في نكباتهم وأحزانهم.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن ابن الرومي ربط كل شيء في الحياة بالألم، سواء كانت أفراحا أو أحزانا، لا يتلذذ بطعم الحياة إلا إذا ذاق طعم الألم، حتى الطفل الصغير عند ولادته أول شيء يتفوه به هو البكاء، وخير دليل ما قاله " بأن حياة الإنسان مجبولة بالألم، فكل لذة مرتبطة بألم يعقبها، ولا توجد اللذة إلا بالنسبة للألم، فالصحة مرهونة

(1)شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1119هـ، ص47.
(2)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج6، ص 131.

بالسقم ولا توجد لذتها إلا مقابل ألمه وكذلك جميع اللذات لا تكون إلا لأنها مهددة بما يفسرها كقوله[1]:

رأيت حياة المرء رهناً بموته وصحّته رهناً كذلك بالسّقم

رابعا: الشعر الاجتماعي

إن الضربات القوية والنكبات الأليمة التي نزلت على حياة ابن الرومي أثرت على نفسيته أشد التأثير وجعلته يتبصر إلى مجتمعه، ومشاكله والقضايا التي تخص الإنسان وبيئته، وبذلك فإن الشعر الاجتماعي هو المرآة الصادقة التي تعكس مظاهر متعددة ومتنوعة من الحياة الاجتماعية، ويظهر أساليب حياتهم وسلوكاتهم اليومية لرسم صورة واضحة عن المجتمع لما يحمله من مبادئ وقيم سواء حسنة أو سيئة.

فمن المعلوم أن الشاعر منطلق من بيئته، لذلك نجدها البؤرة التي يلجأ إليها للتفريغ مكبوباته والغوص في خفاياه «لأن أهم ما يميز شعره هو عينه الناقدة لمجتمعه الكاشفة ما فيه من سلبيات ونقائص واختلال في القيم»[2]،عن طريق تصوير الواقع بمختلف مظاهره وأشكاله وما يتخلله من أفات اجتماعية وفساد أخلاقي، هذا ما زاد غبطته في الحياة وكثر تشاؤمه، ونظرته السوداوية لمجتمع يفتقر لمثل عليا، وبهذا سعى للالتقاط الصور السلبية التي أحدثت في ذاته اضطراب، ونقمة على مجتمع لا يعي معنى الإنسانية، هذا ما فجر قريحته الشعرية لتكشف الزيف في عصره بالإصلاح والتغيير، ومن بين الصور السلبية التي يلفتنا إليها ثورته على ظلم وغياب العدل، ويتجلى في قوله[3]:

(1) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص 23.

(2)فوزي عيسى، في الشعر العباسي، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2008م، ص353.

(3) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص318.

أمـن العـدل أن تعُـدَّ كثيـراً لــيَ مــا تســتَقلُّ للأوقــاب؟
أتُرانـي دون الألـى بلغوا الآ مالَ من شُرطة ومن كُتّاب؟
وتجـار مثـل البهـائم فـازوا بالمنى في النفوس والأحباب
مْتَسمَّين بالأمانة زوراً والمنَاتينُ أخربُ الخُرَّاب

فالشاعر هنا يعلن حرب النقمة على واقع لا يعلم معنى للعدل، وينعي العدالة الاجتماعية الذي لا تسند الحقوق والمناصب لأصحابها الحقيقيين، هذا ما جعله يتذمر من مجتمع يغيب فيه الإنصاف، ويبرز واقع يقوم على التناقضات الاجتماعية والفوارق الطبقية، وقد تساءل عن معنى العدل وفي وجدانه قنطة من الذين يرفعون الجهلاء إلى المراتب العليا ويحطون أهل العلم والأدب في أسفل سافلين، ومثل ذلك بالتجار الجهلاء الذين يدعون الأمانة زورا وبهتان، وهم في الحق أهل لسرقة ونهب حقوق المستضعفين «حيث تنعكس حكمة الأشياء، وينعدم الاستحقاق، فلا يرتفع المرء بفضائله بل يتنكره لها، فهو يسمو برذائله، بينما يقعى أصحاب الحق والكفاءة في القعر»[1]، فقد أراد بذلك أن يفصح عن عصر يكرم ويعلي من شأن السفهاء والجهلاء إلى أعلى المراتب، أما أصاحب العلم والمعالي فينزلهم في الحضيض لذا نلمح على شعره ثورته العارمة على واقع لايعطي الحقوق لأصحابها، ولا يمنح لأصحاب الكفاءة المناصب التي يستحقونها كالعلماء وأصحاب الفضيلة، ومن هنا يمكن القول أن عصر ابن رومي عصر تفاوت طبقي انعدمت فيه أسمى معاني العدالة الاجتماعية وحلت محلها أرذل معاني الفساد الخلقي، مما جعله يتذمر من واقع يعمه الترف والمجون وكل المحرمات، لذا نجده يتصدى لطبقة المترفة ويصف حياتهم الباذخة بقوله: [2]

ويظلـون فــي المنَــاعم واللــذّا ت بـين الكواعـب الأتـراب

(1) إيليا سليم الحاوي، ابن الرومي سنه و نفسيته من خلال شعره، ص123.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص 319.

لَهُمُ المُسمعَاتُ ما يُطربُ السا مـعُ، والطائفـاتُ بـالأكواب
حـين لا يشـكرونها وهـي تَنمـي لا ولا يكفرونهـــا بارتقـــاب
إن تلك الغصونَ عند لتُضحي ظالمات فهل لها من متاب؟

ففي هذه الأبيات يظهر ثائرا وساخطا على المترفين الذين استأثروا لنفوسهم رغد العيش ورفاهية الحياة بكل ملذاتها، فقد صور لنا مظاهر من الحياة الاجتماعية من لهو وترف، وتمتعهم بالمناعم من طعام وشراب وغناء، كما وصف آلات الموسيقى التي يستمتعون لسماعها، ومجالس الغناء التي يطوفوا عليها المغنيات الحسنوات، كما وصف اللباس الناعم الذي يرتدونه، كل هذه الأنعم التي يغرقون فيها إلا أنهم لا يحمدون الله على هذه الخيرات ولا يتوبون إليه، هذا ما أدى إلى تبرم الشاعر عن هذه الفئة، ورؤيته على أنه من الظلم بقاء هذه النعم لمن لا يدركون لها قيمة، لذلك يتمنى زوالها عنهم لعدم تقديرهم لها وحرمانهم لمن لهم حاجة لها كالفئة المحرومة .

وإن الظروف الاجتماعية القاسية والواقع السيء كانا باعثا قويا في إبراز القيم التي تظل في ذات الإنسان قابلة للاحتمالين متناقضين، فمنها الإيجابية وأخرى سلبية لذا نجده دائم التفكير بالجوانب الإجتماعية وصراعاتها المتناقضة، «بحيث لا توجد شيمة إلا كان لها في المقابل نقيضها، فهذه المتناقضات هي التي تكفل للإنسان بقاءه وإنسانيته»[1]، وقد عبر ابن الرومي عن ذلك في مقطوعته، بقوله:[2]

أفي الحق أن يُمسوا خماصا وأنتُم يكـاد أخـوكُم بطنـهُ يتـبعَّجُ؟
تَمَشُّـون مختـالين فـي حُجـراتكم ثقـالَ الخُطـا أكفـالُكم تترجـرجُ
وليدُهُم بادي الطَّوى ووليدكم من الريف ريَّانُ العظام خَدَلَّجُ

(1) ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص151.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج 2، ص28.

يصور لنا في هاته الأبيات المجتمع العباسي في صورتين متناقضتين:طبقة الأغنياء الذين يرأفون بحياة البذخ والنعيم، فقد وصف مشيهم ببطءٍ لامتلاء بطونهم، وطبقة الفقراء المحرومين التي تعاني ويلات البؤس وشظف العيش، هنا الشاعر يعطي نظرته في المجتمع، ويثور عليه، ويعمق إحساسه بحياة الفقراء المستضعفين.

وقد انطلق شعره الإنساني في التعبير عن الفئات المحرومة التي تعاني ويلات الظلم من مجتمع لا يعرف معنى الرأفة والشفقة، فقد كان يتسلسل في وصف الفقراء الذين يرضون بقضاء الله ومشيئته ومن المعلوم أن ابن الرومي كثير الاهتمام بالطبقات الشعبية التي لفظتهم الحياة على هامشها، وسحقتهم الأرجل، بنقل أوضاعهم المزرية، حيث يستقر في وجدانه الإحساس الدائم بما تعانيه الفئة المحرومة «لكونه وليد الطبقة المحرومة، فهو أكثر الناس حسا وأقدرهم للهوة التي تفصل بين الطبقات، وما كان يعتمل في نفوس الفقراء»[1]، وهذا ما يدل على أنه أكثر الناس عطفا على المحرومين، لأن معاناته من الفاقة والعوز جعله يحس بحال المحتاجين والبؤساء من خبازين وشوائين وحمالين، وقد انعكس ذلك في شعره، باعتبار أن تجربته تعج بوصف أحوال الطبقات الشعبية وما يعتريهم من شقاء ونكد الحياة، لذلك لم يترك فئة منهم إلا وتناولها في شعره والغاية من ذلك الإفصاح عن غبطتهم وقساوة المجتمع عليهم، ويتجلى ذلك في وصفه لحالة الحمال بقوله: [2]

رأيتُ حمَّالاً مُبينَ العمى يعثر بالأكْم، وفي الوَهْدِ
مُحتَملاً ثِقْلاً على رأْسه تضعُفُ عنه قُوةُ الجلْدِ
بين جِمَالات وأشباهِها من بَشَر نامُوا عن المجْدِ
أضحى بأَخْزَى حالة بينهم وكلُّهم في عيشة رَغْدِ

(1) عبد الفاتح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر، دار جرير، عمان، ط1، 1429هـ-2008م، ص 122.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج2، ص 214.

ففي هذه الأبيات ينقل لنا صورة حية حزينة من مجتمعه، التي ملأت قلبه بالأسى والحسرة، وهو يصف لنا حالة حمال مكدود، ومصارعته للحياة الخشنة، وقساوة العيش فبالرغم من فقدانه لبصره وضعف قواه، إلا أنه يتحمل كل الأثقال على رأسه ويمشي بها ويتعثر لتوفير قوت يومه وسد رمق جوع أولاده، بينما هناك من كان يراه يقاسي من فئة المتنعمين والأغنياء لكنهم غير مدركين لحالته البائسة وغفلوا عن المكارم ومساعدة المحتاجين،لكن ابن الرومي لكونه إنسانا أولا، وشاعرا ثانيا، مرهف الحس لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن ينظر إلى الفقراء في هيئة يتقطع لها القلب دون أن يقدم لهم يد العون، فجعل من شعره أداة للتعبير عن مأساة الإنسانية.

وفي محل آخر يصور لنا قالي الزلابية الذي يضم بين جوانحه أرتالا من التعب، ومن ذلك قوله: [1]

ومُستقر على كرسيّه تَعب روحي الفداءُ له من مُنْصَب نَصب
رأيته سحراً يقلي زلابيةً في رقَّة القشْر، والتجويفُ كالقَصَب
كأنما زيتُهُ المَغْلى حين بدا كالكمياء التي قالوا ولم تُصَب
يُلقى العجينُ لُجيناً من أنامله فيستحيلُ شبابيطاً من الذهب

أول ما يلفت الانتباه في هذه الأبيات رأفة الشاعر وإحساسه بمعاناة عامل قد أنهكه التعب في صنع قطع الحلوى ومن ثم يصف لنا مدى إتقانه لعمله وصفا جميلا، فقد خيل للقارئ شكل الزلابية وهي تقلى في الزيت كأنها صورة ساحرة تفتن الأنظار، فبعدما كانت عجينة سائلة أصبحت مثل القصب الرقيق الذي بداخله فراغات، كما شبه الزيت الذي تطهى فيه بالتفاعلات الكيميائية التي تحول المعادن وذلك في درجة الغليان، فقد كانت دقة تصويره لصانع الحلوى دلالة على اهتمامه بأدق التفاصيل التي تخص إنسان يسعى لكسب الحلال من عمله في ظل واقع اجتماعي متخلي عن مسؤوليته .

(1) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج 1، ص412.

ولقد تعددت أيضا مجالس اللهو والشراب في عصره، وكثر اهتمامهم بها، ومغالاتهم في شرب الخمرة جعلهم ينأون عن واجباتهم اليومية اتجاه رعيتهم والنظر في شؤونهم، وذلك يعود لرغبتهم الجامحة للخمور التي تريح العقول وتنسي الهموم، «ولعل من أهم الأسباب التي تدعو لشرب الخمر وعقد مجالسها أسباب ذاتية مثل تداخل الهموم، فيهرب الإنسان إلى الخمر ومجالسها معتقدا أنها ملاذ وملجأ له من هذه الهموم»[1]، لذا نرى بأن ابن الرومي قد اتخذ من الشعر الخمري، وحضوره لمثل هذه المجالس وسيلة للتنفيس عن مكبوتاته والاضطرابات التي بداخله، وكشفه للخبايا مجتمعه، وظلم من لهم سلطة للإنسانية لانشغالهم بمجالس الخمر بما فيها من متعة، مما جعلتهم لا يهتمون بالطبقات الكادحة، لذا نجد ابن الرومي يصف مجالسهم وحبهم لشرابهم، إذ يقول[2]:

كم لديهم للهوهم من كَعاب وعجوز شبيهة بالكَعاب
خنْدَريس إذا تراخت مَداها لبست جدةً على الأحقاب
بنت كرم تُديرها ذاتُ كرْم موقَد النحر مثمر الأعناب

والواضح من هذه الأبيات أن نقمة ابن الرومي على من يملكون زمام الحكم ولا يهتمون برعيتهم دفعه لوصف مجالس لهوهم وشرابهم، وتقديسهم له، هذا ما يظهر في البيت الثاني اذْ عبر عن اهتمامهم بالخمرة حتى وإن كانت قديمة أو طال عليها زمن طويل إلا أنها تزداد قيمة عندهم فهي تضم جميع أنواع المتعة والجمال .

وقد أولع أيضا بوصف شراب الخمرة وكؤوسها وتأثيرها على من يشربها، فيقول في ذلك[3]:

(1)نضال أحمد نوافعة، الشعر الاجتماعي في الأندلس، دار جليس الزمان، عمان، ط1، 2014م، ص18.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص319
(3) المصدر نفسه، ج6، ص277.

رأيتُ كُلَّ شراب لامَساغَ لـه غيـر المدامـةِ إلاَّ عِنـد ظمـآن
كـأسٌ يسـوغها الريـانُ لـذتَها إذا تـأبَّى سـواها كُـلُّ رَيَّـانِ
يَمـلُّ كـل شـرابٍ مـن يُعـاقِرُهُ وشاربُ الراح مشعوفٌ بها عاني
كريقةِ المرءِ لا تنفك من فمه وما يَمَلُّ لها طعماً لإبَّان

فقد صور الشاعر شراب الخمرة بما فيه من حلاوة تروي كل عطشان، وقد وصف أيضا أقداحها التي تسقيهم شرابا لذيذ يبعث فيهم الفرح والسرور، كما بين لنا أن شغف شارب الخمر يعاني منه كل من تذوقه، فهو ليس كأي شراب عادي، لأنه يصبح كريق المرء لا يستطيع الاستغناء عنه أو إبعاده من فمه لطعمه الجميل الذي لا يمل منه أحد.

ولا يجمل بنا أن نغفل عن المظاهر الوضعية المبثوثة في مجتمعه، التي أحدثت فيه اختلال واضطرابا وفساد أخلاقي، ولعل هذا ما جعل ابن الرومي يدفق في الثورة على واقعا انعدمت فيه القيم وحلت محلها أمراض اجتماعية، «وكذا نقمته على الناس كانت تنبعث من نفسه لتخليهم عن معنى الإنسان فيهم حتى غدا شعره مرآة قانطة تنعكس فيها آفات العصر وعاهاته كلها»[1]، وهذا ما أشار إليه ابن الرومي في أشعاره، إذ تكلم عن ظاهرة الحقد الذي تعد من الأخلاق الذميمة التي تعاني منها المجتمعات، فهو من الأمور المنبوذة في الإسلام وقد نهى الله عنه في نصوص عديدة، لكونه من المظاهر المشينة التي تنتج عنها مظاهر سلبية باعتبارها صفة سيئة تنمي الضغائن والكراهية بين قلوب البشر«فالحقد توأم الحسد في خلة الأثرة الحيوانية والأنانية الصماء، فلهذه الخلة يستكبر الحاقد الإساءة الصغيرة إلى نفسه كما يستكثر الحاسد النعمة القليلة على غيره والسبب في الحالتين واحد، وهو الغلو في حب النفس»[2] ، مما يدل على أن الحسد أحد أسباب الحقد

(1) إيليا سليم الحاوي، إبن الرومي سنه ونفسيته من خلال شعره، ص 170.

(2)عباس محمود العقاد، ابن الرومي:حياته من شعره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،) (د.ط)، 2012، ص 116. .

الذي يدعو إلى الغل والعداوة وحب النفس الذي تتنافى مع القيم الفاضلة، وهذا ما جعل ابن الرومي يذم من يمدح الحقد، فيقول[1]:

يا مادحَ الحقد محتالاً له شَبهاً لقد سلكتَ إليه مسلكاً وَعثا
لن يَقْلبَ العيبَ زيْناً من يُزَيَّنُه حتى يَرُدَّ كبيراً عاتياً حدثا
يا دافنَ الحقد في ضعْفَيْ جوانحه ساء الدفين الذي أمستْ له جدثا
الحقدُ داءٌ دويٌّ لا دواءَ لهُ يَري الصُّدورَ إذا ما جمره حُرثا

أطلق الشاعر في هذه الأبيات تبرمه على أرذل الآفات الاجتماعية التي تقسي القلوب، ثم نراه يخاطب بشدة وغضب من يمدحون الحقد ويبين لهم أن من يمشي في هذا الطريق السيء تفسد أخلاقه، كما يتوجه بالنصح إلى من يزرعون علة الحقد في نفوسهم فكأنما زرعوا أمراض خبيثة لأدواء لها تشعل النفوس بالبغضاء والغل .

وإذا تأملنا شعره نجده يتكلم كثيرا عن جمع المال وحجزه الذي تعد من أكثر العاهات التي تقلقه لإحداثها خلل في المجتمع، فهي عادة سيئة في الإنسان مستنبطة من الواقع المعاش والذي تأبى النفوس البشرية رفضها والتمرد عليها، ولقد تصدى ابن الرومي لهذه الظاهرة سلبية في العديد من أشعاره بواسطة مختلف الوسائل فمنها بالضحك والسخرية ومنها بالنصح والإرشاد، ومن ذلك قوله في البخل[2] :

يُقتّر عيسى على نفسه ولـيس ببـاق ولا خالـد
فلو يستطيع لتقتيره تَنفَّس من منخر واحد

من خلال هذين البيتان نلاحظ سخرية الشاعر من عيسى لتقتيره وحرمان نفسه من ملذات الدنيا حيث نراه يعظه بأن مال الدنيا زائل وليس بباقي، كما قد تحدث عن شحه

(1). ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج 1، ص463.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص 160.

بغضب وتهكم، وأراد أن يفصح على أنه لو استطاع أن يحبس أنفاسه أو أن يتنفس من منخر واحد لفعل ذلك، فحب عيسى للمال وشغفه لجمعه جعله يحرم نفسه من نعمة التنفس الذي أنعمها الله عليه، هذا ما دفع ابن الرومي إلى «تصوير المساوئ الاجتماعية وعرضها بقالب يثير كراهية تلك المساوئ»[1]، ويظهر ذلك في قوله : [2]

المالُ يكسبُ ربَّه ما لم يَفضْ في الراغبينَ إليه –سوءَ ثناء

كالماء تأسنُ بئرُهُ إلا إذا خبط ـَالسُّقاةُ جمامَهُ بدلاء

فكثيرا ما يجنح ابن الرومي لتشبيه صورة بأخرى لعرض ما يريده بغية التأثير في نفوس القراء، ففي هذه الأبيات يتحدث عن المال المخبأ من دون أن ينتفع به الناس، حيث نراه يشبهه بالماء المجمع في البئر الذي يمضي عليه وقت كبير دون أن يستعمل يأسن ويفسد، فهو كذلك بالنسبة للمال إذا تقتر ولم يصل إلى طالبيه أو لم ينفق على المحتاجين والفقراء يعود على صاحبه بالسوء كفساد أخلاقه وكره الناس له بسبب حبه للمال «لهذا نجد ابن الرومي يكثر في شعره من الحديث عن المال ويصبغ عليه صفات سلبية، فالمال يلخص العلاقات الإجتماعية، حيث يرى أن المال ليس للجمع والكنز وإنما للمساعدة الناس في حياتهم»[3]، فسخطه على مرض البخل وتقتير المال جعله يتحدث عن الدواء الناجع لهذه العلة الذي يهدف من خلاله إلى إصلاح سلوكات مجتمعه السيئة، لذا نراه يتكلم على قيمة الكرم والعطاء بإعتبارها فضيلة إنسانية دافعها الأساسي إغاثة المحتاجين وتقديم الخير لتألف القلوب، و لكونها طبيعة خيرة في الإنسان يضطلع بها المجتمع إلى مستوى أفضل، وهذا ما جعل ابن الرومي يدعو إليها في أغلب شعره فهي تزيل كل العاهات النفسية لدى الإنسان وتجعله يعطي من دون جزاء أو شكور، لذا نراه

(1) أنيس الخوري المقدسي، أمراء الشعر العربي، دار العلم، بيروت –لبنان، ط17، 1989م، ص290

(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص 19.

(3)ركان صفدي، ابن الرومي شاعر مجدد،ص291

يمدح من يتجملون بشيمة الكرم ، إذْ يقول في علي بن يحي المنجم[1] :

وقطـرةَ غيـث كنـتَ أنبـأتَ أنهـا سـيتبعُها قطـرٌ مُلَّـث علـى قطـر
ولاغروَ، أنت البحر تُفضي عُفاتُه إلى الضحل من جَدواه ثم إلى الغمر
أو الغيثُ يأتي قطْرهُ قبل سَيله أو الشمسُ يَهدي ضوءها وضَحُ الفجر

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى ظاهرة إنسانية التي باتت من أهم الشمائل المحببة لقلبه لكونها تقوي الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد وتعدم من قلوبهم الحقد والبخل وكل الأمراض الخبيثة التي تفسد المجتمع، لذلك نرى ابن الرومي لم يغفل عن هذه الفضيلة الحسنة والدعوة إليها في الكثير من شعره، لأنه من أكثر الناس حاجة لها وحرمانه من المال جعله يدعو إلى الجود والعطاء، لذا نراه يشبه ممدوحه بتمثيلات رائعة، فقد شبه كرمه وبذله بالمطر أول قطره لكثرة خيره وغزارة عطاءه الذي أغرق به المحتاجين، كما مثله بالشمس التي تنور طريق البشرية .

وفي الأخير نتوصل إلى أن الشعر الاجتماعي هدفه الأساسي عرض قضايا المجتمع ومشاكله والهموم التي يعانون منها أفراده والغاية من كل ذلك معالجتها ومحاولة إصلاحها، والتعبير عنها بأحاسيس مؤثرة هذا ما جعله «يكتسب وظيفة عظيمة الأثر باعتباره المصحح الاجتماعي، يعمل على صيانة الاستقرار الفكري، والإتحاد العاطفي في المجتمع الواحد ضد شتى عوامل التنافر والمفارقة وهذا يقود إلى تقوية الروح الجماعية، والتعاطف الجمعي بين أفراد الجماعة[2]، فالشاعر لكونه وليد المجتمع ومنطلق منه وجب عليه طرح قضاياه، ومحاولة معالجة واقعه السيئ إلى واقع أفضل، وذلك بنشر الأخلاق والمبادئ الحسنة والمثل العليا بين أفراده لتقوية الروابط العاطفية لبقاء مجتمع يرقى إلى الإنسانية .

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج 3، ص89.
(2)عبد الفاتح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر، ص 117.

الفصل الثاني

1)- اللغوية:

اللغة الشعرية:ا) تضمين و اقتباس

ب) الاسترسال وعدم اغفال

ج) تكرار

د) اختلاف التركيبي

2)- المعنوية:

ا) الأساليب

ب) المحسنات البديعية

ج) الصور

د)الموسيقى

لقد بلغ ابن الرومي مكانته المرموقة التي رأينا مزاحما فطاحل الشعر العباسيين، وهو أجنبي عن لغتهم وعاداتهم، واستطاع رغم المعيقات العامة والخاصة تدوين اسمه في سجل الشعراء المشهود لهم، واعترف بذلك عديد البلاغيين المعروفين في ساحة البلاغة في عصره وبعد ذلك.

وما كان إعجاب هؤلاء إلا بما كان عليه شعره من ميزات، وخصائص جعلته مختلفا عن صورة الشاعر العباسي في طموحاته وغاياته ووسائل تعبيره، فقد اعترى قلمه نفاثة سحر حلقت في فضاء الجمال والفتنة والسحر، وطاف أرجاءها بروح مختلفة، أبرزُ ما وُصفت به أنها مزاجية قلقة، جمعت في فواصل متعددة من قوله بين المتناقضات، فقد تصور الجمال بعين متألمة (كما رأينا في الحمال البائس)، وصور السحر الصامت بكلمات اللغة (كما في وصف وحيد المغنية)، واستطاع تصوير الألم (كما في رثاء ابنه الأوسط)، وتمكن من السخرية من كل شيء (كما في كل هجائه)، لقد كان نفس الشاعر كتلة إحساس متقدة حوّلها الشاعر إلى لوحات فنية، كان الوصف الشامل والدقيق فيها سبب إثارة وإعجاب البلاغيين، حتى عدوه فيه أبرع الوصافين العرب.

يؤمن ابن الرومي أن البلاغة العربية علم متدفق، وبحر عباب متنوع من البيان إلى المعاني إلى البديع، ويدرك أن الإلمام بملاكها غاية بعيدة حتى على أفاضل أهلها، لذلك اجتهد في تحصيل ما يمكنه من مجاراة العرب في أعظم ممتلكاتهم وأعزها لغتهم؛ ومن باب ما لم يدرك كله لا يُترك جله، عمد ابن الرومي في شعر على كثرة التعامل مع البيان، كما اهتم بعلم البديع وحرص على استخدام علم المعاني، بصورة أكثر انسيابية وليونة واهتمام، رغم انه كان هناك بعض الباحثين أنزلة منزلة أدنى بعد علم البيان ودليل ذلك «تنقسم البلاغة العربية حسب تصنيف المتأخرين إلى ثلاثة علوم: المعاني، البيان،

البديع، وجعلوا علم البديع مختصا بوجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة؛ وانزله منزلة دانية بعد علم المعان والبيان»[1].

أولا: اللغة الشعرية

أمام تسارع المنتسبين للشعر، الراكبين موجة النظم الداعين بحسن صناعتهم فيه، وما أكثرهم في العصر العباسي باعتباره أحد الحلول الممكنة في تحقيق الكفاية المعيشية، وبلوغ غاية أمنيات العصر حياة الرفاهية، يعد ابن الرومي من الشعراء القلائل الذين انتبهوا إلى أن الشعر موهبة فكر، وسيلة تأمل يجب على الشاعر السمو بها عن صغائر الأمور، والارتفاع بها واستخدامها في التعبير قدر المستطاع عن الجمال، وعلى الشاعر إحياء أعماقه بإشعاع أنوار الإنسانية، والنفاذ إلى بواطن الأفكار معتمدا على وسائل لغوية ووسائط فنية متنوعة.

فقد كان ابن الرومي «نسيجا وحده في لغته الشعرية، نحس بأنفاسه فيها، وباقتداره في تصريفها وتدويرها كيف شاء، ويطوعها لموضوعاته ومعانيه، فيوهمنا بالسهولة وهي ليست كذلك، ويوهمنا بالتنغيم وهو ليس كذلك»[2]، وهكذا حرص على تغيير مفاهيم الشعرية «بما أتاه من ألفاظ وأساليب لم يعرفها العرب ولم يألفوها قبل نزوله، فكان له الفضل الكبير في إقامة عمود الأدب العربي، وما لبثت أن ظهرت تلك الألفاظ والأساليب في لغة الشعر»[3]، فمنح القصيدة روحا جديدة وتعامل معها بلمسته الساعية إلى الاختلاف والتميز حتى قيل أنه جردها من عديد الخصائص التي درجت عليها من خطابية النبرة، وفخامة اللغة، والجلجلة الصوتية، والبلاغة المفرطة، وغيرها من ثوابت ما توارثته القصيدة في شفاهيتها الجاهلية.

(1) شحات محمد أبو ستيت، دراسة منهجية في علم البديع، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ط1، 1994م، ص 38.
(2) ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص 225.
(3) عبد الهادي الفكيكي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، منشورات دار النمير للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1996م، ص8.

وبهذا كان شاعرنا منتبها «للغته الشعرية، يختار مادتها وفق تصور واضح عنده، ويستشعر جمالها أو تأثيرها، ويأتي بها ممزوجة بفكره، مضمخة بأنفاسه وهمومه، فإذا هي انعكاس لدواخله وامتثال لنوازعه»[1]، مع امتلاكه جوامع بلاغة لغة العرب، حتى ليخيل إلى المرء أنه جمع فيه لسانها أجمع، وهذا ليس بعجيب على شاعر عرف بسعة الاطلاع وذاكرة شاسعة المقدرة والإحاطة، ويمكننا تحديد جملة من العناصر والميزات اللغوية التي طبعت شعر ابن الرومي، ممثلة فيما يلي:

1) أهم خصائص لغته:

ا/ التضمين والاقتباس:

لا بد للشاعر من ركائز ينطلق منها في نظمه، ويتفاعل من خلالها ويتشارك فيها روحا وثقافة مع تراثه وتاريخه، وهكذا يعترف يظهر التضمين في شعر ابن الرومي، كظاهرة تشاركية صحية لا يغفل عنها في شعره، فهو كثيرا ما يقبس من كل مصدر ثقافي نصوصي ثابت الأثر؛ كالقرآن والحديث والشعر في أبهى عصوره مما سبقه.

وتضمين ابن الرومي إحضار النصوص القديمة وزرعها في أقواله، وإحيائها بطريقة تجعل منها نصوصا مبتكرة، وجزءا من صياغته على خلاف ما يقع فيه غيره، من إقحام الأقوال المأثورة بطريقة تبين عن تكلف وتصنع، فالتضمين يعتمد على تحويل النصوص السابقة، وتمثيلها بنص موحد يجمع بينهما، ومقياسه نجاح الطاقة التعبيرية بقوة منشئها القولي.

فتوظيف ابن الرومي للتعبير القرآني إشارة منه إلى ما فيها من مسلمات لا تقبل النقاش لأنها تعاليم سماوية صادرة من الحق، وما تحمله من حقائق تجعلها أقرب إلى الإثارة والاستمالة، فانظر قول الشاعر: [2]

(1) ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص 225.

(2) ابن الرومي،الديوان،شرح: عبد الأمير علي مهنا، ج3، ص 11-12

يا أحمد الخيرِ المؤمـل حين تُخشى العنْقَفير

يوماه: يوم ندى ويـوم ردى عبوس قمطرير

أو امتصاصه لمعنيي بيتين من معلقة امرئ القيس في وصفه الصديد والليل حين قال ابن الرومي:

وقد أغتدي للطَّيرِ والطَير هجع ولو أوجستْ مغْدايَ ما بتْن هُجَّعا[1]

كالبحر ألقى عليه الليلُ كَلْكَلَهُ وزَعْزَعَتْ جانبيه الريح فاضطربا[2]

إن المتتبع لشعر ابن الرومي تبهره غزارة وذكاء استخدامه معاني هذه المرجعيات التي يكن لها كل توقير وتقديس يراها أهلا ان يبثها في مختلف أقواله الشعرية، ففي عديد الأحيان يختلق العبارات على منواله ويقتطع من أسلوبها سياقا تعبيريا يمكنه من اكتسابها كملكية خاصة تجعل خياله خالقا مبتكرا، وتمنح أقواله مصداقية دلالية تجعل من المطلع عليها يحمل لها الثقة والاعتراف.

ب/ الاسترسال وعدم اغفال الجزئيات:

وما عرف عن لغة ابن الرومي الاسترسال الجميل المشوق والتعبير المسترسل والذي يحيط بكل جزئيات الفكرة حتى أنه «لا يأتي بمعنى حتى يستوفيه، ولا يدع فيه بقية لمستزيد، وذلك لأنه كان مأخوذا بالعقل والمنطق، أو بمعنى آخر، إنه على غرار الفلاسفة مأخوذ بـ"الكلي"، فلا يقدم "قضية" ناقصة، ولكن يسعى دائما إلى وضع جميع الاحتمالات العقلية والمنطقية فيها»[3]، ويتتبع جزئياتها في ذلك الأسلوب السردي البديع الذي اشتهر به شاعرنا فلا يغفل صغيرة أو كبيرة كانت في مجال الصورة الكلية للقصيدة إلا ونبه لها

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي مهنا، ج4، ص115.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص393.

(3) ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص 245.

ويمكن رؤية ذلك في قصيدة الحمال البائس[1]، يقول:

رأيتُ حمَّالاً مُبينَ العمى يعثر بالأكْم وفي الوَهْدِ
أضحى بأَخزَى حالةٍ بينهم وكلُّهم في عيشة رغْدِ
وكلهم يَصْدِمُه عامدا أو تائهَ اللُّبِّ بلا عمد
والبائسُ المسكِينُ مستسْلمٌ أذلُّ للمكروه من عبْدِ

هي من أحسن القصائد تصويرا لحالة الفقير، قدم الشاعر نفسه من خلالها رائدا للشعر الاجتماعي المدافع عن الطبقة الاجتماعية المحتاجة، والقصيدة رغم عدد أبياتها المتوسط عموما، إلا أنها قدمت صورة مكتملة عن معاناة الحمال الضرير، الذي يمثل كل الفئات المحرومة المقاتلة من أجل لقمة العيش، وهي فنيا لوحة طبيعية تمكن كل باحث في واقع حياة هذه الفئة حينها، من التعرف على دقائق معاناتهم كوثيقة اعترافيه معايشة، وكان الشاعر في تحريره الوثيقة دقيق الوصف شامل الرؤية، حريصا على الإحاطة بدقائق المشهد، حتى شاع في التعريف به أنه من أبرع الوصافين العرب.

ج/ التكرار:

من الظواهر العامة في لغة الشعر الفنية التي تنبه الشعراء إلى قدرتها التأثيرية ظاهرة التكرار فإذا تتبعنها في ديوان شاعرنا وجدناها تتخذ لها أشكالا وأبعادا أكبر ما يزيد في تعمق أثرها، فقد نلحظ أنه لا تخلو قصيدة من تكرار للمعنى الواحد لفظا أو تعبيرا أو إيحاء، وتركيزنا سيكون على عموم حضور الظاهرة شكلا ودلالة، «فهي معادل موضوعي يكشف عن مكنونات النفس دون البوح بها وينقل الحاضر المؤلم، ويستشرف المستقبل الغامض وفي النفس أمنيات عجزت الكلمات عن الإفصاح عنها»[2]، ونعثر

(1) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي مهنا، ج 2، ص 214.
(2) سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون أنموذجا، ص292 .

على ما قدمه ترديد "مات الذي" في قوله: [1]

مات الذي نالَ العُلا متناولا من بعدِ مانال العُلا متطامِنا
مات الذي كان النصيحَ مساتراً مات الذي كان النصير مُعالِنا
مات الذي فتَح الفتوحَ مُلايناً لاعاجزاً عن فتحِهن مُخاشنا
مات الذي أحيا النفوسَ بيُمنه وأمات منها للملوك ضغائنا
مات الذي صانَ الدماءَ ولم يزلْ عن كل إثم للأئمة صائنا
مات الذي أغناه لطفُ حَوِيلهِ عن أن يُهز صوارما وموارنا
مات الذي رأب الثأَي مُتعالياً عن أن يصادف ضارباً أو طاعِنا

إن قيمة التكرار – كما أقر البلاغيون – «لا تكمن في ظاهر إعادة اللفظ لتشكيل بنية فنية خارجية ملفتة للانتباه، بل أن قيمته فيما تخلفه هذه البنية الشكلية من أثر انفعالي، ولفظ التكرار يحمل حتما في ثناياه هذه الدلالة الانفعالية الخاصة فهو بذلك كما سبق الذكر وسيلة أسلوبية جمالية إيحائية نفسية»[2]، يمكن إدراك حقيقة تأثيرها من خلال ما توقعه من «إيقاع موسيقي يكشف عن مكنونات النفس إذا تعدد وكثف من دلالة الإحساس حتى يتحول نفسُه إلى معادل دلالي، وبؤرة يتمركز فيها المعنى ويجتمع فيها الشعور ونفجر من خلالها الدلالة»[3].

د/ الاختلاف التركيبي:

من أمارات رغبة الشاعر في تأكيد مكانته الشعرية، وقدرة على منافسة الأعراب في أهم مقوماتهم حينها ألا وهو الشعر، ممارسته اللغوية وقدرته الرهيبة على خلق علاقات جديدة بين الأشياء، وإنتاج صور مفعمة بالحيوية والنشاط، «وما يجيء به إلا للتحدي فقد

(1) ابن الرومي،الديوان،شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج6، ص333.
(2) سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون أنموذجا، ص285.
(3) المرجع نفسه، ص288.

كان على خصومة دائمة مع النحاة واللغويين الذين كانوا يتعصبون للقديم، وللغة القديمة التي جهدوا في معرفتها والتأليف فيها»[1]، يقول الشاعر: [2]

وشكر تلك اليدِ الدنيئة إع فائيك مني يا تافه الخطَرِ
والذم شُكريك إذ رأيتُك ته وى الذم فاصبر لشرّ منتَظرِ
آخرُ جهلي بك الغداةَ عِتا بيك وما للعقابِ والحجر
لا جهلَ لي بعده وكيف وقد كيَّسني ما وُهبت من حذر

تبدو أبيات الشاعر في تركيبها مختلفة على ما تعوده اللغويون، في سياق التراكيب المتعامل معها صوغا وتركيبا؛ من مثل (إعفائيك، شُكريك، عِتابيك، كيَّسني)، وكلها صيغ يمكن اعتبارها من اجتهادات ابن الرومي اللغوية، وتختلف عما أوثر في تخاطب العرب العام.

2) الخصائص المعنوية:

ا/الأساليب

إن الأساليب بمثابة الجسور التي يلجأ إليها الشاعر للتعبير عما بداخله، وليؤدي بها معنى للحقيقة ما بواسطة سياق معين، يختاره يتناسب مع موضوعه لإظهار مقاصده، والهدف الحقيقي منه التأثير في القارئ، وقد تعددت المفاهيم التي تناولت الأسلوب بتعدد دارسيه، وباختلاف أرائهم وأفكارهم ومن بينهم ابن قتيبة الذي يقول: «وإنما يعرف فضل القرآن من كثرُ نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات فإنه ليس في الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب خصيّصي من الله...»[3]، وهذا يدل على أن الأساليب متنوعة

(1) ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص 245.
(2) ابن الرومي،الديوان،شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج3، ص 152-153.
(3) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار لنوبار، القاهرة، ط1، 1994، ص11.

ومختلفة باختلاف المقاصد، فإن لكل معنى نمط معنى يعبر عنه؛ أما ابن خلدون الذي يقول في مقدمته الأسلوب «عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص فيه وتوجد فيه على أنحاء مختلفة»[1]، ويقصد بذلك الطريقة التي يعتمدها الشاعر في التعبير عن فكرة ما بغية توصيلها للمتلقين، ولكل عنصر من كلام نمط معين خاص به يختلف عن الأنماط الأخرى .

ومَن يقول بأن الأسلوب هو الإنسان نفسه، وهذا ما نراه في قول بيفون المشهور «الأسلوب هو الرجل نفسه»[2]؛ والمراد بهذه الطريقة التي يستخدمها الشاعر للتعبير عن أفكاره، وما يجول في خاطره، لعرض ما ينتابه من قضايا ومشاعر وغيرها من الانفعالات، ويسانده في الرأي عباس محمود العقاد، من خلال حديثه «بحيث أن تكون حياة الشاعر تكون رقعة شيء واحد، لا ينفصل فيها الإنسان الحي من الإنسان المبدع، وأن يكون موضوع حياته هو موضوع إبداعه، فديوان الشاعر مثلا ليس إلا ترجمة باطنية لنفسيته، لا يخفى فيها ذكر خالجه ولا هاجسه مما تتألف منه حياة الإنسان»[3] ويتضح من كلام العقاد بأن الأسلوب هو مرآة عاكسة لشخصية الشاعر، وما يعانيه سواء من نفسه أو من مجتمعه، كما هو ترجمة لعادات المجتمع وقيمه وأخلاقه، سواء كانت حسنة أو مذمومة، وهذا ما نراه في ديوان ابن الرومي، فقد عبر عن القيم الإنسانية بأساليب عديدة فمنها أساليب إنشائية وأخرى خبرية.

1. الأسلوب الإنشائي: وهو كلام الذي لا يستطيع الإنسان أن يقول لقائله صادقا أو كاذبا وله قسمان: أساليب إنشائية طلبيه وتضم(الاستفهام، والأمر، النهي، النداء، التمني) والأساليب إنشائية غير طلبيه وتضم (صيغ المدح والذم، القسم، كم الخبرية).

(1) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص 94.

(2) هندي بليث، البلاغة و الأسلوبية، تر محمد العمري، إفريقيا الشروق، بيروت، لبنان، (د .ط)، (د .ت)، ص 52.

(3) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص135.

أ-1/ **الاستفهام:** «هو طلب الفهم أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما، وقد يخرج عن غرضه الأصلي إلى غرض بلاغي أخر، نعرفه من سياق الكلام كالتعجب، والنهي»[1].

ويظهر ذلك في قوله[2]:

أما حقٌّ حامي عرض مثلك أن يُرى له الرفدُ والترفيهُ أوْجَبَ واجب
أَمِنْ بعدِ ما لم ترْعَ للمال حرمةً وأسلمته للجود غيرَ مُجَاذب

ففي هذين البيتين استفهم الشاعر بتعجب من هذا الكريم الذي يجود بماله على الفقراء وهو غير مهتم بهذا المال الذي يعطيه، فقد خصه للعطاء والإحسان دون الجمع والتقتير، وذلك لتزكية النفس لتحقيق أسمى القيم النبيلة.

والملاحظ أن هذا الاستفهام خرج عن معناه الحقيقي، إلى المعنى بلاغي أخر وهو التعجب.

أ-2/**النهي:** «هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء»[3] ، وله صيغة واحدة وهي اقتران فعل المضارع مع "لا" النافية، وقد تخرج عن معناها الأصلي إلى معاني أخرى تفهم من سياق الكلام.

ويظهر ذلك في قول الشاعر [4]:

ولا تَرجِعنَّ الشِعرَ أخيبَ خائبٍ فما حَقٌّ مَنْ رجَّاك رُجعاهُ خائبا

(1) عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001م، ص 18.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص 227.
(3) عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مكتبة الآداب، ، القاهرة،ط1، 1989م، ص12.
(4) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج2، ص205.

فالنهي في هذا البيت جاء بغرض التأنيب والوعظ، فنجده ينبهه عن تحميل الشعر خيبة الإنسان، فهو لا يتحمل خيبة الخائبين فهو وسيلة المتألمين وصديق المعوزين، فالنهي هنا يكشف عن حقيقة علاقة الإنسان في الوسيلة، وعليه حينها في استخدام الوسيلة بطريقة مناسبة.

أ-3/ **النداء:** «هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد الحروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب العقل " أدعو"»[1]، وقد يخرج عن معناها الحقيقي لأغراض أخرى، ويظهر ذلك في قوله[2]:

يا أكملَ الناس في فضائله من أهل بدو و ساكني حضْر
بحق مَن تُوجَب الحقوقُ لهُ من هاشمّييك أنجم الدهر

هنا اشتمل البيت الأول على النداء رغم خروجه عن معناه الحقيقي إلى معنى المدح، فالشاعر يذكر ممدوحه بالإنصاف وحفظ الحقوق، حيث شبهه بالهاشمي لعدله، فهو خلق نبيل يؤلف القلوب، ويصفي النفوس، والغرض من هذا الأسلوب الإفصاح عن مكانة وقيمة الممدوح العظيمة لما له من صفات محمودة .

ويقول أيضا[3]:

أيها الواعدُ، الذي برقُهُ الدهر خُلَّب لستُ
أدري أأنتَ أمْ ظنُّ راجيك أكذَبُ

فهنا الشاعر بدأ البيت بنداء يحمل معنى الإهانة والتحقير، فقد أراد بهذا الأسلوب التصغير من شأن الذي يعد وعدا ولا يفي به، ويصفه بالكاذب لإخلافه في وعده، وهي صفة سيئة تجعل الانسان غير محبوب ومنبوذ من مجتمع البشر.

(1) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،ط1، 1430هـ-2009م، ص110.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج3، ص172.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص406

أ-4/ الأمر: «طلب الفعل على وجه الاستعلاء من الأعلى إلى الأدنى»[1]، وقد يخرج عن معناها الحقيقي لمعاني أخرى كالنصح والإرشاد، الالتماس وغيرها، ويظهر ذلك في قول ابن الرومي[2]:

فانسَ الحقودُ فإنها منسيةٌ إلا لدى اللؤماء والأشرار
وكفى الحقود مهانةً وغضاضةً أن لست تلقاه عدوّ جهار
فأنظر بعين الرأي لأعين الهوى فالحق للعين الجليّة عاري

ففي هذه الأبيات ورد فعل الأمر يطلب من مخاطبه أن يترك الحقد فهي صفة ذميمة في النفوس الشريرة باعتبارها مذلة ومنقصة في نظره، كما يطلب منهم أن يتجملوا بالصفات الشريفة وينظروا بعين العقل للأمور لا بعين العاطفة وذلك ليسمو بنفسه للأعلى وقد جاءت هذه الأبيات أمرية لدلالة على النصح وإرشاد الشاعر لمخاطبه من أجل أن يكون صاحب حق.

أ-5- **التمني:** «طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله لكونه مستحيلا»[3]، وقد يخرج عن معناه الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى تفهم من سياق الحديث كالمدح، والحسرة، وهذا ما يظهر في قوله[4]:

ليت الشباب الفتى يدوم له ما عاش أو ينقضي مع الوطر

فالشاعر في هذا البيت يتمنى لو أن شباب الفتى يبقى معه طول العمر، أو يزول مع موته، وذلك لحزنه على شبابه الذي انقض وهو في ريعان شبابه، والغرض من التمني الحسرة والألم على فقدان الشباب، دون أن يكون قد حقق فيه أمرا عظيما.

(1) عبد العزيز أبو سريع، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، ص11.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج3، ص35.
(3)عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص112.
(4) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج3، ص129.

2/- الأسلوب الخبري: هو الكلام الذي يجوز أن يقال لصاحبه صادقا أو كاذبا وله غرضين تستنبط من سياق الكلام، أولهما لازم الفائدة :ويعني بها تقديم المخاطب معلومة لم يكن يعلم بها من قبل، وثانيهما فائدة الخبر: ويقصد بها إعلام المخاطب بخبر يعلمه، كما له أيضا أضرب: ابتدائي (يكون خاليا من أدوات توكيد) وطلبي (يتضمن أداة واحدة) إنكاري (له أكثر من أداة توكيد). وقد وظف الشاعر أساليب الخبرية بكثرة، يعلمنا عن مبادئ مجتمعه، وكل ما يتعلق بحياته بمختلف مراحلها، ويتجلى ذلك في قوله : [1]

لقد فجعت فيك الليالي نفوسها الأسحار حافظة العتم

ففي هذا البيت يخبرنا عن حجم الفاجعة التي تركتها والدته، فهو يذكرها بألم وحرارة، وقد أشترك في حزنه الطبيعة الذي وضح من خلالها حزن الليل على فراقها باشتداده سوادا وقت السحور، ليعبر بذلك عن الأسى الذي بداخله والغرض من ذلك إظهار الحزن الذي يملئ قلبه على فقدان أمه.

كما يقول أيضا: [2]

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به يدحو الرُّقاقة وشك اللمح بالبصر

ففي هذا البيت يخبرنا الشاعر عن نموذج إنساني يصف من خلاله صورة خباز وهو يعمل بإتقان في انجازه للخبز بسرعة وبطريقة مبهرة، يرسم في ذهن المتلقي صورته، بحيث يريد من خلال الأسلوب النفي هذا التأكيد على تفا فيه في عمله بجد وإخلاص

ويقول في مدح أحمد بن ثوابة: [3]

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج3، ص 74.
(2)المصدر نفسه، ج3، ص 197.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص229.

لك الرأي والجودُ اللذان كلاهما زعيم بكشف المطبقات الكوارب
ومازلتَ ذا ضوء ونوء لمجذب وحيران حتى قيل: بعضُ الكواكب
تغيث وتهدي عن جدب وحيرة بمحتفل ثرّ وأزهرَ ثاقب

نلاحظ من خلال هذه الأبيات ذكر الشاعر لمحامد أخلاق ممدوحه، بأنه صاحب رأي سديد، وذو بصيرة بالأمور التي تقف عاتقا في وجه الإنسان، ومعروف بسخائه ومساعدته للفقراء في وقت الشدائد، كما وصفه بالكوكب الذي ينير طريق البشرية ويهديهم بنوره، وذلك لتحسين صفاته الأخلاقية في صورة جميلة، حيث نراه بهذا الأسلوب يوحي لعظيم شمائل الممدوح وفضائله على الإنسانية، ويؤكد فيها عامل الاستمرارية وهذا ما لم ينتبه إليه الأقدمون في مدائحهم.

ويقول أيضا: [1]

وقد يَتظنَّى الناسُ أنّ أَساهُمُ وصبرَهُمُ فيهم طِباعٌ مركَّبُ
وأنهما ليس كشيءٍ مُصَرَّفٍ يُصرِّفُهُ ذو نكبةٍ حين يُنكب
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسى وإن شاء صبراً جاءهُ الصبرُ يُجلَبُ

فالشاعر هنا يعلمنا بأن الصبر والأسى خلقا جبلت عليهم الإنسانية وليس كما يتوهم البعض، أنهما في طبع الإنسان. لأنه لا يستطيع أحدا أن يحزن وقت ما يشاء وأن يأتيه الصبر ساعة ما يريد، فالحزن والصبر فطرهم الله سبحانه وتعالى على عباده لاستمرار الحياة .

ب/ المحسنات البديعية

اهتم ابن الرومي بالمحسنات البديعية، واستخدمها بصورة موسعة وبطريقة إيجابية، من خلال توظيفها لتحقيق غايات نفسية، فتعددت في شعره إيقاعات التناقضات وتعددت

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص244.

المحسنات، وانقسمت إلى محسنات معنوية (طباق؛ مقابلة؛ حسن تعليل)، ومحسنات لفظية (جناس؛ سجع؛ اقتباس).

تعتبر المحسنات البديعية من بين الآليات الفنية الجمالية التي يستدل بها المبدع لتعبير عن ما يجول في خاطر بأسلوب فني وذوق رفيع، وقد تعددت هذه المحسنات بين ما هو معنوي وما بين ما هو لفظي؛ وقبل التطرق إليهم نتوقف عند تعريف عند علم البديع أو المحسنات البديعية ودليل ذلك قول محمود البراغي «علم البديع هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق أم سجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو تصريع أوزانه أو تورية عن المعنى المقصود بإبهام المعنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما، أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثاله ذلك»[1]، ومن هذا التعريف نجد محمود البراغي ذكر أنواع المحسنات البديعية بقسميها اللفظي والمعنوي.

إن علم البديع يشمل كل المحسنات اللفظية ومحسنات المعنوية وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى، وإذا كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ؛ ومن بين هذه المحسنات البديعية **الطباق** فقد أطلقت عليه عدة أسماء منها "التطبيق، مطابقة، تكافؤ، التضاد"، وقد عرف في معجم المصطلحات هو«الجمع بين الضدين أو معنيين المتقابلين في جملة»[2] ، كما للطباق ضربان فهناك ما هو ايجابي وما هو سلبي.

والمطابقة لون من ألوان البديع يكون في شكل ثنائيات ضدية، وأمثلة، ذلك في مدونة ابن الرومي[3]:

(1)محمود البراغي، علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م، ص10.

(2)محمد احمد قاسم، علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2003م، ص 65.

(3) ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص 32-38-42.

سأَلت الأرضَ تنكيراً عليه فلم تفعلْ فنكَّرتِ السماءُ
إذا ما المدح سار بلا ثوابٍ مِن الممدوح فهو لهُ هجاءُ
واحتراسُ الدُهاة منك، وإعصا فُكَ بأقوياءِ والضعفاءِ

وقال أيضا[1]:

أنت جِدّيها، وغيَركُ من يل عب إن الرِّجال غير النِّساء بعتَه
واشتريتَ عيشاً هنيئاً رابح البيع، كيِّسا في الشِّراء عالما
بالذي أخذت وأعط يت حكيماً في الأخذ والإعْطاء

يتبين من خلال الأبيات أن الشاعر استعمل المطابقة وهي ألفاظ جعلت الأبيات ذات جمال فني، فنرى الانسجام بين هذه الثنائيات من إيقاع وتوازن، تارة حب، تارة حزن، وتارة سعادة ونرى (الأرض/السماء)، (المدح/ الهجاء)، (امنع/ أعطى)، (الأقوياء/ الضعفاء)، (الرجال/ النساء)، (البيع/ الشراء)، (الأخذ/ العطاء).

وقوله أيضا[2]:

خاضبُ الشيب في بياضٍ مبين حين يبدو وفي سوادٍ مريب شَعَرٌ
ميتٌ لذي وَطَرٍ حيْ يٍ كنارِ الحريق ذاتِ اللهيب
مَعَهُ صبوةُ الفتى، وعليه صَرْفه الشيخ، فهْو في تعذيب

حدث في هذه الأبيات طباق ايجابي (بياض/ سواد)، (ميت/ حيي)، (الفتى/ الشيخ)، نجد علاقة تباين ومصاحبة معجمية، وأدت إلى تناسق الأبيات وترابطها .

(1) ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا ، ج1، ص 43-44-45.
(2) المصدر نفسه، ج1، ص 126-127.

كما إن ابن الرومي استعمل أيضا الطباق السلبي وهو«الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت وثاني منفي »[1]، نحو قوله[2]:

فهما يشهدان لي بالذي قُلْ ثُ، وما يشهدان لي تغبيبا
إذا دام المرء السوادُ، ولم تَذُمْ غَضارتُهُ، ظنَّ السوادَ خضابا
كلامُك ما أُترجِم لا لكلامي وان أصبحتُ لي فيه نصيبُ

ففي هذه الألفاظ الموضحة في الأبيات " (يشهدان/ ما يشهدان)، (دام/ لم تدم)، (كلامك/ لا لكلامي)، جاءت مثبتا تارة ونافية تارة أخرى وذلك دليل على غليان أو المشاعر الداخلية التي يتحكم بها الشاعر .

ونستخلص أن الشعراء عباسيين عامة وابن الرومي خاصة، قد تولى أولى الطباق عناية فائقة واستخدموه في إبداعاتهم، لهذا نرى ابن الرومي كان يبدع في شعره، ويبرز ما يختلج في صدره والكشف عنها .

المقابلة تعتبر لون من ألوان البديع وتشكل ثنائية ضدية وعرفها البلاغيون «هو أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب»[3]، ومن أمثلة ذلك في ديوانه: [4]

ذلك السيدُ الذي قتل اليأسَ بأفضاله وأحيا الرجاءُ
ومديح يضمُ لفظاً فصيحاً غيرَ مُستكرهٍ، ومعنىً جليباً
أأعرفه، ولست له نسيباً وتجهلُهُ، وأنت له نسيبُ

فهنا نجد مقابلة بين (قتل اليأس=أحيا الرجاء) في المعنى مقابلة واحدة، أما البيتين

(1) محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة البديع، البيان، المعاني، ص68.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج1،ص 258-262-267.
(3)علي حازم مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، دار المعارف،(د.ط)،(د.ت)، ص 264.
(4) ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص37-262-267.

الآخرين نجد مقابلة كانت اثنين باثنين (لفظا فصيحا= معنى جليبا)، وبين (أعرفه = وتجهله) (لست له نسيبا = وأنت له نسيبا) .

وقوله في البحر الوافر: [1]

نظيفِ السرِّ عفٍّ حين يخلُو جميلِ الجهْرِ حُلْوٍ حين يبْدُو

فهنا في هذا البيت عندما نستغني عن (سر، يبدو) نجد هنا المقابلة دون أضداد (فنظيف) ليس ضدها (جميل) و(عف) ضد (حلو) وهذا جائز.

وقوله أيضا: [2]

يُكدُ ولا ينال وكان يرجو بفضلك أن يُنال ولا يُكَدُ

فهنا تظهر المقابلة واضحة في هذا البيت من الشعر ابن الرومي، فقد حل(ينال) في محل (لا ينال) و(يكد) محل (لا يكد)؛ فعبرت المقابلة بين شطري البيت وذلك بالتناقض والنفي ومعاناة الشاعر وتبدل حاله.

وتبين من خلال الأمثلة التي تطرقنا إليها وأن الشاعر استعمل التقابل بكثرة مما زادت جمالا ورونقا في انسجام الألفاظ.

كما أن حسن التعليل من بين الألوان البديعي معنوي أيضا ويقصد به « أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي، فيعلل الشيء بعلة خيالية مناسبة، ويحتاج إلى إلى تأمل في إدراكها لما فيها من لطف ودقة»[3].

ومن ابرز الأمثلة أو الأبيات المستنبطة من ديوان ابن الرومي قوله»[4]:

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج2، ص275.

(2)المصدر نفسه، ج2، ص 277.

(3)محمد أبو ستيت، دراسات منهجية في علم البديع، ص 150.

(4) ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج2، ص113-161.

خَجِلت حدودُ الورد مِن تفضيله خجلاً نورُّدها عليه شاهدُ

وإلا فما يبكيه منها وأنها لأفْسَحُ ممَّا كان فيه وأرْغَدُ

ففي البيت الأول هنا ابن الرومي يرى أن الثمار القلوب هي الورود أن غصون الورد من تقبيلها، أما البيت الثاني تحدث ابن الرومي عن بكاء الطفل عند زيادته، ويلمس ذلك الأمر وهو يبكي على ما هو ينظره من عناء ومشقة، ومن جانب آخر يرى ابن الرومي رؤية تشاؤمية تجاه ذلك بسبب ما عاشه في صباه من ألم وحزن كما ورد في قوله[1]:

جرحتْهُ العيونُ فاقتصَّ منها بجوىً في القلوب دامي النُّدوب

لم يُعادِلْهُ في كمالِ المعاني توأمُ الحُسن من بني يعقوب

فهنا يبين الشاعر في البت الأول أن الدموع التي تنزل من عيون محبوبته على خديها ليست بدموع بل هي جروح من حرقة العشق .

أما البيت الثاني تناول ابن الرومي عدم تشابه وتجاريه في كمال المعاني وكذا ابن الرومي في عجز البيت دلى على يوسف عليه السلام.

وفي الأخير نرى أن حسن التعليل يؤكد قدره ابن الرومي على اختراع المعاني، وابتداع الصور ويرتبط بقدر من الفكر والتأمل وشيء من الصنعة، وأفضله ما كان فنا جميلا صادرا عن إحساس صادق فيكون له تأثير بنفس المتلقي.

ومما سبق اتضح لنا أن المحسنات المعنوية ساهمت في تحسين الكلام وتنميته فهي أدت إلى ترابط النص من خلال العلاقات الضدية المنطقية والدلالية؛ كما نجد أن لها دور في أتساق النص وانسجامه.

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص 169.

ويعد الجناس من المحسنات اللفظية المنتشرة في شعر ابن الرومي كغيره محسنات اللفظية وعرف أرباب البديع الجناس بعبارات مختلفة متفقة المعنى منها قال ابن المعتز في الجناس «هو تجيء بكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، أي تشبهها في تأليف الحروف»[1]، أي اتفاق أو تشابه كلمتين في لفظ واختلافهما في المعنى؛ وانقسم الجناس إلى قسمين أساسيين جناس تام، جناس غير التام .

والجناس التام «هو ما اتفق فيه لفظتان المتجانسين في أربعة أمور نوع الحرف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها»[2].

وقول ابن الرومي[3]:

وجهك يا عمرو فيه طولُ وفي وجوه الكلاب طولُ

مستفعل فاعلٌ فعولُ مستفعل فاعل فعولُ

ففي الأبيات لدينا (طول، طول)، (فعول، فعول) نجد اتفاق في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها فهنا الجناس تام.

ففي البيت الأول يقصد (طول، طول) طول الأولى بطول وجه عمرو، أما طول الثانية يقصد بها طول الكلاب طويلة، وربطت بجرف واو العطف في طول الأولى للمهجو والطول الثانية للكلب، أما البيت الثاني يبين (مستفعل فاعل فعول) فيقصد بها الإنسان أما (مستفعل فاعل فعول) يقصد بها الكلاب .

أما عن الجناس غير التام الناقص« هو اختلاف اللفظ في واحد من الأمور الأربعة سابقة توفرها في جناس تام»[1].

(1)ابن معتز عبد الله، لراتشكوفسكي، تح: عبد السلام فراج، دار معارف، القاهرة، ط1، 296هـ، ص 25.

(2)عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع،دار قباء للطباعة والنشر شركة مساهمة مصرية، مصر ،(د.ط) 2000م، ص161.

(3)ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج5، ص 187-188.

وقوله: [2]

سوءةً، سوءةً لك ابنَ البراءِ يا بديلَ الخِراءِ عند الخراءِ

في هذه الأبيات تختلف عن الأبيات السابقة فهذه الأبيات ففيها اختلاف في نوع الحروف، ففي البيت أول نجد (البراء، الخراء) واختلاف الحروف (الباء، الخا) فالبراء مقصود بها البر أما الخراء يقصد بها لتنجو .

ومن هذه النماذج استنتجنا ورود الجناس بصفة كثيرة في أشعار ابن الرومي قلما خلت الأبيات من القصيدة من جناس تام جاء أو غير تام، وهذا ما احدث نغم موسيقية تثير النفس وتطرب إليه الأذن، وازداد الجناس جمالا نابعا من طبيعة المعاني التي يعبر بها الشاعر .

ج/ الصور البيانية:

يعد البيان فرع من الفروع البلاغة، فهو المفتاح السحري للكلام لأنه يقوم على أساس الإبانة والإفصاح عن المعنى، باعتباره وسيلة الشاعر التي تجعله يعبر عن مكنوناته وخواطره الإنسانية بشكل واضح بهدف إيصاله لغيره من القراء من أجل الفهم، وقد تكلم الكثير من علماء البلاغة على مفهوم البيان، ومن بينهم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين الذي يقول فيه «البيان اسم جامع لكل شيء يكشف المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي للسامع حقيقته، لأن المدار والغاية التي يجري إليها القارئ والسامع إنما الفهم والإفهام وإيضاح المعنى»[3]، ويقصد بذلك المفهوم أن الهدف الوحيد الذي يسعى إليه علم البيان هو الوضوح أن الهدف الوحيد الذي يسعى إليه علم البيان هو

(1) محمد محمد طه هلالي، توضيح البديع في البلاغة، مكتب جامع حديث، (د .ط)، الإسكندرية، 1994م، ص 29.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص 84
(3) أبى عثمان عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، تح:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ-1998م، ج1، ص76.

الوضوح والكشف عن المعنى الحقيقي لإيصاله للقارئ بغية التفاهم والانسجام، فالبيان في أصله تعبير عن واحد بعدة وسائل كالتشبيه والاستعارة والكناية

أ/ **التشبيه:** هو أحد الأساليب التصويرية البيانية، يستخدمها الشاعر لإفصاح عما هو غامض في حقيقة ما إلى معنى جليا واضحا، وقد تعددت مفاهيمه بتعدد أراء دارسيه، لكن كل التعاريف تصب في قالب واحد، ومن بين الذين تناولوا معنى التشبيه التنويخي الذي يقول فيه: «هو الإخبار بالشبه، وهو الاشتراك الشيئين في صفة أو أكثر لا يستوعب جميع الصفات»[1]، من خلال هذا التعريف يتضح بأن التشبيه هو الجمع بين أمرين أو شيئين لاشتراكهما في صفة أو أكثر، يقوم على أربعة أركان المشبه، المشبه به، أداة التشبيه، ووجه الشبه.

كما يقول في الحسن بن عبيد الله بن سليمان: [2]

أغرُّ يجتلبُ المُدَّاحَ نائلُهُ وأكثرُ الناس مدحاً غيرَ مُجتَلبِ
كالبحر مُنفْجراً من كل منفجَر والغيثِ منسكباً من كلّ منسكَبِ

نراه في البيت الثاني استخدم تشبيه، حيث شبه ممدوحه بالبحر والغيث لكثرة كرمه، وتدفق عطاياه لما له من مشابهة مع البحر والغيث في صفة الجود فهي من الشمائل الإنسانية التي تكسب المرء مكانة عالية في مجتمعه ويحض بالاهتمام والثناء من قبل – كل الناس، حيث أراد من خلال هذا التشبيه إبراز قضية أخلاقية في قالب فني

ويقول في أبي سهل بن نوبخت: [3]

وتجار مثل البهائم فازوا بالمنى في النفوس والأحباب
فيهمُ لُكنةُ النَّبيط ولكنْ تحتها جاهليَّةُ الأعراب

(1) عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1430– 2009 م، ص62.
(2) ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص194.
(3) المصدر نفسه، ج2، ص 289.

ففي البيت الأول شبه الشاعر التجار بالبهائم الناهقين، أراد بذلك ليصغر من قيمتهم وليروي نقمته ويشفي غليله من مجتمع يسوده الظلم في حق الأدب والأدباء، ويعكس تناقضات مجتمعه واضطراباته .

ويقول أيضا : [1]

صادت فؤادي عشية النفر ظبيةُ قصرٍ نأتْ عن القَفْرِ

كالشمس في حسنها وبهجتها فإن تورّعت قلتَ: كالبدر

فالشاعر هنا يشبه جمال وحسن محبوبته بالشمس والبدر، وصف ذلك ليدل على شدة إعجابه بها وسحر جمالها، وهيامه بحبها، واستسلامه لأسرها ، ليعطي صورة عن أحاسيسه وعواطف اتجاه محبوبته .

ويقول في موضع آخر: [2]

مصباح نور يُرى الخفيُّ به جهراً، ولولاهُ طال محتجبه

كالليث في بأسه وأوانه مثل الشجاع الخفي منسربه

فالشاعر في البيت الأول يشبه ممدوحه بالمصباح، الذي ينير طريق الناس ويضيء حياتهم، أما في البيت الثاني فشبهه بالليث في القوة والبطولة، فهو كذلك يفصح عن صفة إنسانية اتصف به الممدوح وهي الشجاعة، فقد أراد ابن الرومي بهذا التشبيه غرس الفضائل الأخلاقية في النفوس الإنسانية .

والمستنبط من تلك التشبيهات أن الشاعر يسعى من خلالها إبراز المعاني في صورة واضحة والغاية منها إثباتها وتأكيدها في نفوس القراء.

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج3، ص102.

(2)المصدر نفسه، ج1، ص 358.

2/- الاستعارة:

تعتبر من الوسائل البيانية التي تعتمد في أساسها على الخيال للتعبير عن المعنى محدد بألفاظ مستعارة، يلجأ إليها الشاعر لتعبير عما في داخله بطريقة فنية جمالية لإبرازه في صورة جلية، وقد نالت اهتمام بالغا من طرف البلاغيين بالدراسات والتعريف، ومن بين الذين تطرقوا لمفهوم الاستعارة نجد قول أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين " وهي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك إما أن يكون بشرح المعنى، وفضل الإبانة عنه أو تأكيده، والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو يحسن المعرض الذي برز فيه" [1]فمن خلال هذا المفهوم يتضح بأن أبو هلال العسكري قد وضع مقاييس ليكون للعبارة التي نقلت عن موضعها الأصلي معنى ودلالة وهي توضيح المعنى والتأكيد عليه والمبالغة فيه، أو التلميح له بألفاظ قليلة لجلاء الصورة لدى القارئ لتأثير عليه، ومن المعلوم أن للاستعارة قطبين:

الاستعارة المكنية: وهي تعني حذف المشبه به مع ترك قرينة دالة عليه.

الاستعارة التصريحية: ومعناها التصريح بلفظ المشبه به .

وعليه فقد حفل ديوان ابن الرومي بنصوص استعارية، ولكل واحدة منهما دلالة معينة ويظهر ذلك من خلال قوله: [2]

فالبس العفو والمُعافاة ثوباً وعلى الكارهينَ ذاكَ العَفاءَ

فهنا الشاعر في هذا البيت ذكر استعارة مكنية، من خلال تشخيصه للعفو في صورة الإنسان يلبس الثوب، فقد ذكر المشبه وهو (العفو) وحذف المشبه به (الثوب)، وترك لازم يدل عليه (يلبس) على سبيل الاستعارة المكنية، والغرض منه هاته الصورة إبراز صفة

(1)أيمن إبراهيم صوالحه، المفارقة في النقد العربي القديم، دار أليا زوري، عمان، الأردن،(د.ط)، 2012م، ص77

(2)ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص55.

العفو الذي يقوي العلاقات بين البشرية، وتحد من الخلافات باعتبارها قيمة نبيلة في نفوس الإنسانية، ويؤكد أن الممدوح كما يمكنه أن يلبس العفو، فهو قادر على خلعه ويكون شديدا مع من لا يستحق، فالعفو خلق وزينة .

كما يقول في عبيد الله بن عبد الله وصلحه لأخيه بعد الشر الذي كان بينهما: [1]

أرعى النُّجومَ وأَنَّى لي برِعْيتهَا وطَرْفُ عيْنيَ في أسْر وتَقْييد

فالشاعر هنا شبه الحيوانات مثل الإبل ب (النجوم) ويقصد بها الرعي والاهتمام بشؤونها فهو بذلك حذف المشبه (الحيوان) وذكر المشبه به النجوم وترك قرينة تدل عليه (أرعى) على سبيل الاستعارة التصريحية، فهو بذلك يعبر عن مسؤوليته اتجاه من يرعاهم بالنظر في حوائجهم، والدفاع عن حقوقهم من أجل التآلف الإنساني.

كم يقول أيضا: [2]

فتى يقتل الأموال في سُبل العلا لتُورثَهُ المجد السنيَّ مَوارثه

وظف الشاعر في هذا البيت استعارة مكنية (فتى يقتل الأموال) حيث شبه (الأموال) (المجرمين) وحذف المشبه به وترك لازم من لوازمه يدل عليه وهي (يقتل) على سبيل الاستعارة المكنية، فبهذه الصورة يشير إلى مظهر إنساني المتمثل إعطاء الممدوح أمواله للمحتاجين من أجل علو مكانته، وبلوغه القمة بفضائله الحسنة.

كما يقول في قصيدة يهنئ عبيد الله بن عبد الله: [3]

يدان لا يفتران الدهر من صفد يغني فقيرا، ولا من فك أصفاد

(1) إبن الرومي،الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج2، ص 150.
(2)المصدر نفسه، ج 1، ص 476.
(3) المصدر نفسه، ج2، ص 157.

ويقول أيضا: [1]

قَتَلَ اليّأسُ وهو مُستَحكِمُ الأمـ ـرِ وأَحييَا المَطَامِعُ أنضَاءُ

ففي هذا البيت شبه الشاعر اليأس بالإنسان، حيث ذكر المشبه به (البأس) وحذف المشبه وهو (الإنسان) وذكر لازما يدل عليه القتل على سبيل الاستعارة المكنية، وقد أراد بهذه الصورة أن يعبر عن قضائه للهموم وكل ما يقنط الإنسان، وكأنه يدعوه بذلك للتفاؤل والأمل في الحياة.

ومن هذا يمكن القول بأن الاستعارة في ديوان ابن الرومي اعتمد فيها على التشخيص لنقل تجاربه الإنسانية، والكشف عن المثل العليا في مجتمعه وأثرها على الإنسان سواء أكانت قيم محببة أو غير محببة .

3الكناية:

فهي لون من الألوان البيانية، تعتمد في أساسها على التلميح دون التصريح لاستنباط المعاني الحقيقة وإثباتها بواسطة إعمال العقل، هذا ما يزيد المعاني وضوحا وتأكيدا، وقد عرف البلاغيون الكناية بتعاريف عديدة بحسب اختلاف أرائهم

لغة: التكلم بما يريد به خلاف الظاهر

اصطلاحا:" لفظا أريد به غير معناه الموضوع له، مع امكان إرادة المعنى الحقيقي، لعدم نصب قرينة دالة على خلافه" [2]، ويقصد بذلك استعمال لفظ يراد به لازمه، ويشترط في ذلك عدم وجود قرينة تدل عليه، وهذا ما يجعل الوصول إلى المعنى الأصلي متعذر،

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج 1، ص 57.

(2)نعمان عبد السميع متولى، المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية و التراث العربي القديم، دار العلوم والإيمان، دسوق، ط1، (د.ت)، ص58.

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام أساسية، كناية عن صفة، موصوف، نسبة، ولكل منها يعبر عن دلالة ما، وهذا ما يظهر في شعر ابن الرومي من خلال قوله : [1]

ومع العَتبِ والعِتابُ فَإنِي حاضِرُ الصَفْح واسِعُ الإعْفَاءِ

فالشاعر في البيت الثاني يدلي على كناية (واسع الإعفاء)يكنى بها على أتساع صدره للمسامحة، فهو يشير بها إلى أخلاقه العلية، فهو بالرغم من اللوم والعتاب إلا انه يصفح ويعفو على من يذمه ويلومه، وهذه من القيم الإنسانية التي تقوي الروابط الإنسانية.

وفي قوله يصف روضة: [2]

منظر مَعْجِبٌ تحيَّةَ أنف ريحها ريح طيب الأولاد

ففي هذا البيت كناية (تحية أنف) يكنى بها عن الرائحة الزكية التي تنبعث من لأولاد الصغار، الذي تقدمها الروضة للأنف بمثابة تحية شكر عطرة فقد وظفها لبيان جمال الطبيعة وسحرها ومفاتنها ليكون الإنسان بذلك حاضر مع الطبيعة في زهوها وانطلاقاتها، فكانت الملاذ الذي يلجأ إليه الشاعر في وقت ضيقه .

وقوله في رثاء والده: [3]

ألا قاتل الله المنايا ورمينها من القوم حبات القلوب على عمد

ألَحَّ عليه التَرَفُ حتَّى أَحالهُ إلى صَفرةِ الجادي عنْ حَمْرة الوردِ

ففي بيت الأول وظف الشاعر كناية في قوله (حبات القلوب) وهي كناية عن الأولاد الصغار، أما البيت الثاني فيحمل كنايتين أولهما (صفرة الجادي) كناية عن الموت، وثانيهما (حمرة الورود) كناية عن الحياة، فقد أراد بهذه الكنايات أن يفصح عن مشاعره

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج 1، ص 49.
(2)المصدر نفسه، ج 2، ص 195.
(3)المصدر نفسه، ج 2، ص146.

المليئة بالأسى والحسرة على فراق فلذة كبده، وبهدف التأثير في القارئ لمشاركته ألمه وحزنه .

ومن ذلك نلاحظ هذه الكنايات جاء بها ليعبر عن المشاعر الإنسانية في صور محسوسة ملموسة لزيادة المعاني قوة وتأكيدا.

د/ الموسيقى الشعرية

روح القصيدة العربية موسيقاها من خلال دندنات البوح يدق الشاعر أبواب المخاطب ويلج فضاء القلوب الموصدة، ينثر مشاعره وأحاسيسه الإنسانية بشكل غنائي تأنس لسماعه الآذان وتتأثر به النفوس، فالموسيقى عنصر مهم فاصل بين الشعر وسائر الفنون الأدبية، وهذا ما نلمسه في قول ابن رشيق عند تعريفه للشعر بأنه «كلام موزون مقفى يدل على معنى»[1]، ويقصد بذلك سياق من الألفاظ تحكمها أوزان وقوافي لتكشف عن مدلولات المعنى بأنغام قوية بهدف تعميق المعنى في أذهان المتلقين، كما يثبت محمد الحوفي أيضا «أن الشعر والغناء ارتبط في النشأة الأولى ارتباطا وثيقا لا غرابة ،لأنهما يصدران عن العاطفة ويعبران عنها، فبواعث الغناء هي بواعث الشعر، ثم إن الموسيقى أساس فيهما معا»[2]، وبمعنى أن الشعر والغناء عنصران لا ينفصم أحدهما عن الأخر، ولكونهما يؤديان نفس الغرض فهما وجهان لعملة واحدة ما نسميها بموسيقى الشعر.

ومما لا شك فيه أن للموسيقى نوعان تسهمان في إنتاج الدلالة الشعرية وتعميقها في نفس القارئ فمنهما: موسيقى داخلية تختص بالمحسنات البديعية والتكرارات، أما الموسيقى خارجية فتهتم بالشكل الخارجي لنظام القصيدة كالوزن والقافية والروي.

(1) مصطفى حركات، أوزان الشعر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1،1418هـ -1998م، ص06.

(2) أحمد حساني، الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006م، ص67.

4-1-الموسيقى الخارجية: وتشمل العناصر الإيقاعية أو المساعدة في تحقيقه، وأهم التشكيلات الإيقاعية التي تترك على النصوص الشعرية ومضة جمالية فنية اكتسبتها بفضل مميزاتها المتمحورة حول: الوزن، القافية، الروي.

4-1-1-الوزن: يعد من القالب والنظام الموسيقى العام الذي يختاره الشاعر ليصب فيه كلماته،فهو المتحكم في أصوات النص ودلالته وانسجام أجزائه، لذلك ينصح أبو هلال العسكري «إذا أردت أن تعمل شعرًا، فأحضر المعاني التي تريد نظمها وأحضرها على قلبك، وأطلب وزنا يتأتى إيرادها وقافية يحتملها»[1]، ويتأسس هذا النظام ويقوم «على تقسيم الجمل إلى مقاطع صوتية تختلف طولا وقصرا، إلى وحدات صوتية على نسق معين»[2]، وتجدر الإشارة إلى أن الأوزان الشعرية في ديوان ابن الرومي تتوزع على قصائده بالشكل الأتي[3]

البحر	النسبة المئوية	البحر	النسبة المئوية
الطويل	%22	مجزوء الرمل	%2,4
الخفيف	%12	الرمل	%1,7
الكامل	%11	مجزوء الخفيف	%1,2
البسيط	%10,4	المخلع البسيط	%1,1
السريع	%7	الهزج	%1,1
المنسرح	%6,5	المجتث	%1,9
الوافر	%6,4	مجزوء الرجز	%0,79
المتقارب	%5,4	مجزوء الوافر	%0,54

(1) نعيمة بوزيدي، ابن الرومي مظاهر الصراع الداخلي في شعره، دار مجدلاوي، عمان، ط 1، 2015م، ص 368.
(2) عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت،(د.ط)،1987م، ص12.
(3) ركان صفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص256.

الرجز	%4,0	المديد	%0,3
مجزوء الكامل	%3,7	مجزوء المقارب	%0,06

وفي قراءتنا المتفحصة لهذا الجدول، يتضح لنا أن ابن الرومي اعتمد في تجربته الشعرية على أغلب الأوزان المعروفة بما فيها المجزوء منها، ومن بين الأنساق الأعلى شيوعا أو ما كان لها حضور واسع في أدائه الإبداعي، ويمكن اعتبارها هامة في نقل مشاعره وعواطفه الإنسانية، المحصورة في أربعة أوزان أساسية نذكرها: الطويل، الخفيف، الكامل، البسيط. ومن نماذج ورودها في قول ابن الرومي: [1]

ولا عيبَ في أخلاقه غيرَ أنهُ أخو عزمات في الندى مَحلاَتَ

ما نلحظه على هذا الوزن هو المساحة الصوتية والدلالية التي يقدمها الشاعر، فكثير ما وظفه الشعراء في الفخر والمدح، وفي البيت نلمس ظهور تنغيم خاص يكاد يتغلغل في أعماق النفس ونحن لا نشعر به، فهو من الأنساق الموسيقية اللطيفة التي لا طالما يلجأ إليها الشاعر لتوضيح دلالة معينة، فقد أراد هنا أن يوصل للمتلقي بأن الذي يتصف بفضائل السخاء والجود لا عيب في أخلاقه سوى أنه صاحب كرم وعطاء.

كما يقول أيضا في وزن الخفيف الذي احتل في ديوان ابن الرومي المرتبة الثانية وحظيا باهتمام كبير، ومن مواضع توظيفه في قوله: [2]

كتبتْ ربةُ الثنايا العذاب تتشكَّى إلى طولَ اجتنابي

لو علمت الذي بجسمي من السُّقْ م وضُرّ الهوى لكنتَ جوابي

هنا الشاعر استخدم الخفيف المطرب الذي يتناسب مع رقصة القلب في الحديث عن الاحبة والتعبير عن الجمال، فموسيقى الصوت مع الخفيف تتهادى من الفؤاد الى اللسان في سلاسة تعبر عن شدة حبه وعن مرض الهوى بسبب تعلقه بمحبوبته وبعدها عنه برنة موسيقية هادئة الطرب على أذن السامع وتتناسب مع عواطف الشاعر العاشقة،

(1) ابن الرومي،الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص 458.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 382.

وهذا ما يثبت بأنه لم يلتزم بما التزم به الشعراء القدماء أن لكل غرض شعري نسقا خاص به، فقد نظم في كل غرض بجميع الأنساق مما يعكس لنا طاقته التعبيرية وجمال إبداعه الشعري.

لقد استخدم ابن الرومي وزن بحرَيْ (الطويل والخفيف)، بنسبة تتجاوز(34%) في قياس منتوجه الشعري العام، وهذا يدل على طول نفسه الشعري وامتلاكه قدرة فائقة في توظيف هذه الأوزان، بالصورة المناسبة لطبيعة الوزن وما أوثر عن السلف في هذا السياق، وتبقى الطاقة الإبداعية لابن الرومي قد مكنته من ركوب هذه الأوزان وغيرها في سياقات متعددة.

4-1-2-القافية

وتعتبر عنصرا من عناصر التشكيل الموسيقى الخارجي بعد الوزن، فهي مقطع موسيقي ملزم في أخر كل بيت شعري، ويعمل الشاعر جاهدًا على تكراره في جميع الأبيات، ليضفي على القصيدة تنغيما خاصا وجمالا موسيقيا، وينقل به ما يريده من انفعالات وأحاسيس يريد إثارتها في المتلقي. وقد لفتت انتباه البلاغيين والنقاد واختلفوا في تحديد تعريفها، ولعل أقرب المحاولات في ذلك قول الخليل: «بأنها من أخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع ما قبله، أما الأخفش فهي عنده أخر كلمة في البيت، وزعم الفراء أنها روي وضعف رأيه»[1].

أما إبراهيم أنيس فيراها ليست «إلا عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءاً هاما من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها»[2]، وهذا ما يدل على أن القافية كلمة مكررة في

(1) إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م، ص347.

(2) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1952م، ص 244.

كل آخر كل بيت ويلتزم الشاعر بتكريرها في باقي الأبيات لتنشأ داخل النص جرسا موسيقي يلفت انتباه المتلقي كما يعمل على انسجام النص وإيضاح دلالته.

ولعل أهم ما يميز قوافي ابن الرومي هو اتساعها مما يدل على اتساع المعاني المستعملة فيها وسموها خاصة بما تريده من القارئ في استنباط الدلالات الحقيقية للنصوص الشعرية، فالشاعر يسمو بقوله في معالجة أحوال الناس ومعايشهم، ويدق نفسياتهم ومستوى آمالهم في الحياة، أنظر مثلا في قوله: (1)

ولك العذر مثل قافيتي فيـ ك اتساعا فإنها كالفضاء

وتأملْ فإنها ألُف المدْ د ولها مدة بغير انتهاء

فهنا الشاعر يدل على اهتمامه بالقافية، حيث اعتبرها كالفضاء الواسع الذي يحمل معاني ودلالات عديدة، كما يلفت النظر إلى ألف المد الذي يعتبرها من الحروف السهلة التي تسهل الطريق للشاعر لنظم عدد أكبر من الأبيات.

أما فيما يخص أنواع القوافي المستخدمة في ديوان ابن الرومي، فنجده أنه نظم تجربته الشعرية على نوعين من القوافي: قافية مطلقة (يكون رويها متحركا)، قافية مقيدة (يكون رويها ساكن)، وكل منهما مرتبط بنفسية الشاعر ومشاعره وحالته الانفعالية، ومن شواهد ذلك، يظهر في قوله: (2)

كأنَّ نسيم الروض إبان نَوره أرذَّت عليه مُزنةُ حين اسْحرا

أتانا به رشٌّى من الريح لو نأى مُعرَّسُنا عنه مدى النَّبل قصرا

ما نستشفه من هذين البيتين أن الشاعر استخدم القافية الممدودة ليصف للمتلقي جمال الطبيعة وسحرها ويضفي على الأبيات نغمة موسيقية يطلق بها مشاعره اتجاه الطبيعة، ويعبر عن افتنانه بروضها ونسائمها، والهدف من ذلك التأثير في القارئ وتشويقه لرؤية بهاء الطبيعة وحسنها، بالإضافة إلى زيادة القصيدة إيقاعا خاصا.

(1) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا،ج1، ص 49.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص 80.

كما يقول أيضا في رثاء ابنه: [1]

يا غائبًا عني بعيدَ الإيابْ نغّصني فقدُك بردَ الشرابْ

لهفي على لُبسك ثوب البلى من قبل إخلاقك ثوب الشبابْ

يبدو أن القافية هنا جاءت مقيدة ليوحي بها الشاعر عن احتباس الألم في أعماق نفسه، ويحاول أن يروي لنا الشاعر كيف يسجنه في فؤاده، وبالكاد يحاول نثر غصته حشرجات متقطعة، ،إنه والحزن باتا ذاتا واحدة ساكن فيها أحدهما الآخر، بعد قيده إلى نفسه بأخذ حشاشات فؤاده الواحد تلو الآخر، فالسكت المثبت على حرف الروي صمت لكل المشاعر، التي تعبر عن حسرته على ولده الذي أخذته المنايا في عز شبابه، كما خلق حرف الباء الساكن جو موسيقي حزين، يجعل القارئ في حالة إنسانية ساكنة يتألم لألمه بسبب تأثره بحالة الأسى والشوق الذي يعاني منها الشاعر.

4-1-3-الروي

يعد من أهم الحروف الأساسية للقافية يقع في أخر كلمة من البيت ويتردد في جميع الأبيات وعليه تبنى القصيدة، ولكل حرف دلالته الخاصة التي تعكس لنا عاطفة الشاعر ومشاعره، وقد عرف بأنه «النغمة التي ينتمي إليها البيت ويلتزم الشاعر تكراره في أبيات القصيدة»[2]، وما نلحظه على تجربة ابن الرومي الشعرية أنه تبنى قصائده على جميع الحروف الأبجدية من الألف إلى الياء، إلا أننا نرى أنه في بعض الحروف أسهب في إنشاء القصائد عليها بحسب حالاته الشعورية سواء في ألامها وأفراحها وتجاربه الإنسانية.

4-2-الموسيقى الداخلية:

تختص موسيقى الشعر في شقها الداخلي بجوهر النص وعلاقاته الباطنية، كالمحسنات البديعية والتكرارات وكل منها يعمل على انسجام وتناسق النص الشعري لتوليد

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 405.

(2) محمد بن حسن عثمان، المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2004م، ص 125.

إيقاعات جرس موسيقي نشعر بوجوده دون أن نراه.

4-2-1-التكرار: يعد الاعتماد على آلية التكرار في الشعر عملية مقصود منها إضفاء لمسة جمالية فنية على النصوص الشعرية بحثا على ما تحدثه من إيقاع داخلي، وما لها من دور في إثارة انتباه المتلقي، وقد لقيت ظاهرة التكرار اهتمام الكثير من النقاد والأدباء لما تحمله من دلالات وإيقاعا خاصا، ومن بين الذين تناولوها بالدراسة والتعريف نذكر قول ابن الأثير في كتابه المثل السائر«دلالة اللفظ على المعنى مرددا، كقولك لمن تستدعيه (أسرع –أسرع) فإن المعنى مرددا واللفظ واحدا»[1]، وقد اخذ التكرار عدة أشكال منها ما يأتي تكرار حروف، تكرار ألفاظ ،تكرار جملا، ولكل منهما وظيفة دلالية يؤديها .

- **تكرار حرف:** يقوم أساسا على ترديد مجموعة من الأصوات أو الحروف للوصول إلى المعنى العام للنص الشعري «إذْ الكلام الإنساني مكون من سلسلة من الأصوات المتعاقبة المتشابكة ولذا يجب علينا النظر إلى الأصوات في الكلام الفعلي هو مادة الدراسة»[2]، ولعل المبدأ الأساسي لهذا التكرار توظيف مجموعة من الأصوات أو الحروف في سياق معين لتتضح الدلالات، ومن أبرز الأمثلة المستسقاة من ديوان ابن الرومي التي تظهر من خلال قوله:[3]

يا خَليلَيَّ تَيَّمَتْني وحيدُ فَفُؤادى بها مُعَنًّى عَميدُ

غادةٌ زانها من الغُصْن قَدُ ومن الظَّبيْ مُقلتان وجيدُ

وزهاها من فَرْعها ومن الخدَّ يْن ذاك السَّوادُ والتَّوْريدُ

فَهْيَ بْردٌ بخدّها وسلامٌ وهي للعاشقين جُهْدٌ جهيدُ

(1) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة، مصر، القاهرة،(د.ط)،(د.ت)، ص281.

(2) إبراهيم جابر علي، المستويات الأسلوبية في شعر بلند الحيدري، دار العلم والإيمان، دسوق، ط1، 2009م، ص676.

(3) ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج2، ص265-266.

ما نلحظه على هذه الأبيات ترديد الشاعر لصوت الدال ثماني عشرة مرة، والدال من الأصوات المجهورة، فالشاعر هنا يجهر بمشاعره الإنسانية اتجاه محبوبته وبحقيقة حبه لها، كما وصف جمالها وصفا يقطر بعاطفة صادقة هذا ما أحدث نوعا من الانسجام الصوتي الذي يعكس من خلالها مدى اعجابه وهيامه بوحيد.

وفي موضع أخر يقول:[1]

يا سالم الخير، يا أبا حسن يا من وجدنا كوجهه خبره

ياحسن الوجه والشمائل إنّ ردَّد فيه مردّدٌ نظره

يا حسن الهدْي والخلائق إن كرَّر فيه مُكرر فكرَهَ

يظهر من خلال الأبيات السابقة تكرار الشاعر لحرف النداء (يا) خمس مرات، وكأن ما يريده بهذا الترديد هو مخاطبة الممدوح والثناء عليه بفضائله المحمودة وأخلاقه النبيلة وقد ساهم هذا التكرار الحرفي في رفع الجرس الموسيقي في أذن القارئ، الذي رفع من شأن الممدوح وعظم مكانته، فكأنه يريد بذلك أن يزرع في قلوب الناس أخلاق الممدوح الكريمة للتحلي بها وبما يتصف من شمائل ومكارم خيرة.

- **تكرار كلمة:**يعد من «أبسط ألوان التكرار»[2]، وإذا لفتنا النظر إلى تجربة ابن الرومي الإبداعية لوجدنا قريحته الشعرية مليئة بالتكرارات اللفظية اللافت للانتباه والتي تكشف عن مظاهر إنسانية وآفات اجتماعية مبثوثة في مجتمعه عن طريق شفرات لإيصال ما يريده للقارئ ،ومن شواهده يتجلى في قوله:[3]

وإنّ فقيراً عدّ عمراً لفقره مدًا لذو فقرين، فقر على فقر

ففقْر من العقل المُسدَّد للهدى وفقْر من المال المشدّد للأزر

(1) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج3، ص 46.

(2) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ط 1، 1962م، ص 231.

(3) ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا،ج3، ص63.

ويتضح من هذين البيتين تكرار لكلمة فقر سبع مرات، فهي تعد من المظاهر الاجتماعية التي تشغل بال الشاعر وبال الكثير من الناس، وقد جاء بهذا التكرار المكثف ليجعله مفتاحا يدلي به على أن الإنسان يعاني من فقرين: الفقر الأول غياب الذهن المتحكم في الأهواء، الفقر الثاني غياب المال الذي يسد رمق المحتاجين.

- **تكرار العبارة:**

من المعلوم أن التكرار لا يقف عند تكرار أصوات أو ألفاظ بل يتعداها لتكرير عبارات، باعتبارها ترتكز على فكرة معينة وترددها لتأكيد على المعنى المراد ، وهذا ما يدل على أنه «يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها»[1]، ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدة يرثي فيها يحي: [2]

يا ناعيَ ابن رسول الله في البشر ومُعلناً باسمه في البدو والحضَر
لقد نعيت امرأً ظَلَّتْ لمَصْرَعه قواعدُ الدين والدنيا على خطر
لقد نعيتَ امرأً لم تَحْيَ مَكْرُمَةٌ إلاّ به، وبه سارت إلى الحُفَر
لقد نعيتَ امرأً ما كنتُ أحسَبُهُ ينعاهُ إلا هُويٌّ الشمس والقمر

هنا الشاعر يكرر عبارة (لقد نعيت امرأ) ثلاث مرات، ليوحي من خلالها إلى الألم العميق الذي يملأ قلبه، وبهذا يكشف عما يختلج في نفسه من لوعة امتدت حتى الأعماق على فقدان عزيزا، فهو بذلك يخبرنا أن الشخص الذي ينعيه ويبكيه ليس كباقي البشر، وإنما هو من أهل البيت ومن خيرة الخلق مكرمة الذي يعجز الناس عن ذكر مناقبه فقد كان تكراره تأكيدا على حزنه الشديد على موت يحي ابن رسول الله.

4-3-التصريع: يعد من أكثر الوسائل الموسيقية إحداثا للايقاع، يستخدم في مطالع القصائد لجلب انتباه القارئ وتثبيت ذهنه والتأثير فيه، فهو يختص بقافية الشطر الأول والشطر الثاني، ومركز حدوثه في البيت الأول من مطلع القصيدة ، والمراد منه

(1) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص 242.

(2)ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج3، ص 219.

إبراز تساوقا موسيقي بين صدر البيت وعجزه ليوحي بعدة دلالات متعلقة بنفسية الشاعر، ومن مواضعه كقوله في رثاء ولده : [1]

حماهُ الكَرى همٌّ سرى فتأوَّبا فبات يُراعي النجم حتى تَصوَّبا

ما نلاحظه على هذا البيت وجود تماثلا إيقاعي في قافية الشطر الأول والثاني (تأوبا–تصوبا) مما ساهم في تنمية الموسيقى الداخلية ليدلي من خلالها عن مرارة الألم وحرقة الوجد التي تشتعل بداخله على فقدان حشاشته، هذا ما يستثير مشاعر الإنسانية عن طريق تنغيم مميز يعكس به الشاعر عواطفه الصادقة في شكل إبداعي.

(1)ابن الرومي، الديوان، شرح:عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص 263.

خاتمة

وهكذا في ختام بحثنا يجدر بنا أن نشير إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها، من خلال دراستنا المعنونة بـ: "**القيم الإنسانية في شعر ابن الرومي**" والتي اجتهدنا في المتن في تفصيلها ويمكن حصرها في النقاط الآتية :

1- تعد القيم الإنسانية هي المعيار الأساسي لحياة كل إنسان، ومبعث تقاس به سلوكات ومبادئ وأخلاق كل مجتمع، كما أن لها خاصية تميز كل إنسان عن الأخر وفقا لطبيعتها المتوافقة مع العقل الإنساني.

2- للشعر دور فعال في تبني وإشاعة المثل العليا منذ القديم حتى العصر الحالي، فهو رسالته سامية ترصد فضائل المجتمعات الحميدة وعواطف أفرادها الإنسانية والاجتماعية.

3-خَبُر ابن الرومي قيمة الشعر، وأولاه اهتماما واسعا، فبات فيه واحد من أبرع شعراء عصره، رغم زحام أعداد معاصريه.

4- ابن الرومي شاعر شغوف بالجمال أنى رآه، ومتوله بحبه وعاشق له، لذلك نجد شعره زاخرا بوصف مشاهد الحب والجمال سواء كانت حسية أو معنوية لإعطاء صورة عن وجدانه .

5- لقد عاش ابن الرومي حياة متناقضة بين رغبته في الاستمتاع بالجمال وتشاؤمه من الحياة والظلم الاجتماعي فحفل شعره بالآلام المتلاحقة مما عمق إحساسه بالكآبة وشعوره بالحزن الدائم، ورغم طبعه الاجتماعي المدافع عن تلك القيم الإنسانية.

6- تميزت لغته الشعرية بالوضوح والتجديد، بإستخدام الألفاظ والتراكيب السهلة البعيدة عن المبالغة والتكلف التي توحي عن مكنونات النفس الإنسانية.

7- إسرافه في إستخدام المحسنات البيانية والرسم التصويري والغاية من ذلك إبراز مشاعره وعواطفه الإنسانية في قالب فني واضح.

8- لعبت الموسيقى الشعرية دورا كبيرا في إثارة المشاعر وإيقاظ العواطف عن طريق إيقاعها الداخلي والخارجي اللذان يسهمان في إنتاج الدلالة ويضفيان على النصوص الشعرية لمسة جمالية وتنغيم خاص.

وفي الختام نأمل أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا ولو بقدر يسير، كما لا نزعم أننا قد أحطنا بجميع جوانبه، فلكل عمل نقائص لأنه ثمرة جهد إنسان يخطئ ويصيب، والكمال لله سبحانه وتعالى.

مـلـحـق

عصر ابن الرومي

عاش ابن الرومي في القرن الثالث هجري . التاسع الميلادي، في العصر العباسي الثاني، وهو عصر مليء بالأحداث السياسية المضطربة، والدولة تنازعها تيارات النفوذ من فارسي وتركي، ودسائس وفتن بين أتراك والفرس، وبين الأتراك بعضهم ببعض، بالإضافة إلى اضطراب الحالة الاجتماعية كالإقطاع والاحتكار، ومصادرات واستبداد، وأحيانا ثورات وأحداث دامية أهمها ثورة الزيدين في الكوفة سنة 864م، وثورة الزنج في البصرة سنة 869م، وقد عاصر ابن الرومي تسعة من خلفاء ومن بينهم:

- المعتصم: بويع له بالخلافة سنة218هـ، وتوفي سنة 227م
- الواثق: بويع له بالخلافة 227 هـ، وتوفي سنة 232هـ
- المعتضد: بويع له بالخلافة سنة 279هـ، وتوفي سنة 289هـ

أما الوجه الثاني فهو النضج العقلي : فالفلسفة والعلوم قد بدأت تعطي ثمارها، وأخذ الأدباء والعلماء يألفون فيها، وازدهرت العلوم، وعرف الشعر عددا من فحوله أمثال أبي تمام والبحتري وابن الرومي، وظهرت ألوان من هذين الوجهين في شخصية ابن الرومي وشعره، وربما كان ابن الرومي نفسه يجمع بشخصيته هذين الوجهين : الاضطراب والثقافة .[1]

حياته: هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريح، أو جورج يس الرومي ولد سنة 221هـ283هـ؛836م-896م في بغداد من أب رومي وأم فارسية، ونشأ في بغداد وأخذ بحظ وافر من ثقافة عصره الأدبية واللغوية والدينية

وقد أهملت كتب التاريخ الأدبي ابن الرومي وأخباره، فهو نفسه قد سد صفر النقص وسجل بشعره أحداث حياته ودقائق نفسيته، ومن ذلك نعرف أن حياته كانت سلسلة نكبات،

1ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج 1، ص5-6

مات أبوه وهو طفل، وتزوج ورزق ثلاثة أبناء ماتوا جميعا في طفولتهم وماتت زوجته بعدهم، ومات أخوه شابا ثم ماتت والدته فأصبح ابن الرومي وحيدا بلا أهل.

ونعرف من شعره أيضا أنه كان في صباه جميل الطلعة، أبيض اللون ثم سرعان ما تبدلت حالته فأصابه الوجوم والحيرة، وشحب لونه ونحل وهزل، وأصابه الصلع والشيب في شبابه، ثم أدركته الشيخوخة المبكرة، وأعتل جسمه وضعف بصره وسمعه واضطربت أعصابه .[1]

وقد قضى أكثر حياته فقيرا، كانت له أملاكا فأغارت عليها الحوادث بين جراد وحريق، وكانت له دار فغصبت منه ودار ثانية انتزعتها منه امرأة، فكان يستدين ويسرف في الإستدانة .

ولم يتصل بالخلفاء، بل اقتصرت صلته على الوزراء والقواد والولاة، ولم تكن جوائزهم بالتي تيسر له السبل العيش الهنيء أو تيسر له الشبع من ملذات الحياة، حتى اتصاله بممدوحيه لم يخل من تنغيص: ربما مدح ممدوحا فأثار سخطه عليه وحرم الجائزة وخرج مطروداً، وكان أكثر معارفه يعابثوبه ويهملونه، فكان لذلك كاتم الشكوى والعتاب .[2]

طيرته :

فقد منى بالطيرة والإيمان الغامض بالنحس والسعد يحلان في نفسه محلان يقين في نفسه، كما نرى فيما رواه عن زهر الآداب إذ قال إن ابن الرومي كان مفرط الطيرة شديد الغلو فيها، حيث كان لا يدع التطير في جميع حركاته وتصرفه وذلك ثيابه كل يوم ويتعوذ، ثم يصير إلى الباب والمفتاح معه، فيضع عينيه على ثقب في خشب الباب فتقع عينه على جار له كان نازلا بإزائه وكان أحدب كل يوم على بابه فإذا نظر إليه رجع وخلع ثيابه وقال لا يفتح أحد الباب .[3]

تشاؤمه : ليس غريب على ابن الرومي أن يكون متشائما، بل ربما كان الغريب أن يتفاءل، فهو لم يذق من الحياة سوى طعمها المر، ولم يقطف من أزهارها سوى الشوك، ولم ير في أحداثها سوى القبح والشر ولذلك أصبح يرى دار شقاء، ونقمة وعذابا على الأحياء، وهو يستشهد على ذلك ببكاء الطفل ساعة يولد:

1ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص6-7

(2) المصدر نفسه، ج1، ص7

(3) إيليا الحاوي، ابن الرومي فنه و نفسيته من خلال شعره، ص14-15

لمَا تؤذن الدنيا به من مصروفها ***يكون بكاء الطفل ما عن الولد [1]

فنه :

أبرز الخصائص الفنية لدى ابن الرومي تتمثل في شدة تأثره بكل مظهر من مظاهر الجمال والقبح، فإذا بحواسه متيقظة، ما تنبهة، ناشطة تلتقط أدق المؤثرات، وإذا بالخيال يتناول هذه المؤثرات ليؤلف بينها في إنكار عجيب وإذا بعقله المثقف يعمق معانيه، وتلونه العاطفة المتوقدة، كما يمتاز أيضا بخصائص أخرى جعلته فريدا في فنه من بينها :

- **وصف الطبيعة :**

فابن الرومي لا يقف موقف الشاعر المفتون بالطبيعة بجمالها، وإنما موقف الإنسان الشاعر الذي يجد في الطبيعة صور نفسه فإذا بهذه الطبيعة الباردة الجامدة قد تحولت إلى كائنات حية تختلج بشتى العواطف الإنسانية .

1ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص23

●**هجاؤه** :

أخرج القرن الثالث للهجرة شاعرين هجائيين هما أشهر الهجائيين في أدب العصور الإسلامية عامة، أحدهما : ابن الرومي، الآخر دعبل الخزاعي، وقد جمع المعري بينهم في بيت واحد وضرب بهما المثل لهجاء الدهر لبنيه فقال :

لو أنصف الدهر هجا أهله *** *** كأنه الرومي أو دعبل [1]

● فقد كان غاضبا على الناس والمجتمع ينكر عرفهم، ويشذ على إجماعهم، ويهجوا أفرادهم بأسمائهم، وكان الذين يمدحهم بالأمس هم الذين يثليبهم بعد ذلك، حيث كان يكذب حين يهجو وينتقم، وما نلاحظه أن أغلب الذي يهجوهم لصوصا ينهبون ويسلبون من أرزاق الرعية الضعفاء، لهذا أصبح الهجاء له سلاحا لازما وقدرة معروفة بين شعراء عصره .[2]

●**الرثاء** :

فقد كان أكثر الشعراء المتأملين، حيث لا نجد شاعرا رثى من أفراد أسرته عدد الذين رثاهم ابن الرومي، رثى أخاه وزوجته وأولاده الثلاثة، ومن أرق مراثيه قصيدته الدالية في رثاء

1ابن الرومي، الديوان، شرح: عبد الأمير علي المهنا، ج1، ص10 .

(1) عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، ص185- 188

ابنه الأوسط، فهو لا يكتفي بتصوير لوعته ودموعه كما يفعل الشعراء الذين رثوا أبنائهم ولا يكثر من التفجع والتهويل، بل نلمس لديه عمق الحزن دون التفجع وندب ونواح، إنه يصور لنا جو الموت في صورة أشد الصور وقعا في النفس وانفطار للقلب .

●**صور من عصر ابن الرومي :**

نجد في شعره مثلا صورا للحياة الاجتماعية، وألوانا من لهو الناس وترفهم وازدهار فن الغناء، ونجد في شعره وولع الناس بلعبة الشطرنج، كما يعكس لنا ألوانا من تفنن الناس في المآدب، ومجالس الطعام، الشراب الرحلات الصيد، ولعل أبرز الملامح الشخصية عند ابن الرومي أن شعره وحياته واحد شيء واحد.[1]

●**وفاته :**

يقول ابن خلكان في تاريخ وفاة ابن الرومي: (توفي يوم الأربعاء الليلتين بقيتا من جمادى الأول سنة ثلاثة وثمانين، وقيل أربع وثمانين، وقيل: ست وسبعين ومائتين ودفن في مقبرة باب البستان)، لكن الأقوال مجمعة على موت ابن الرومي بالسم، وأن الذي سمه هو القاسم بن عبيد الله أو أبوه[2]

1ابن الرومي، الديوان، ج1،ص26-27

(2) عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، ص203-204.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.

أولا: قائمة المصادر

1- عبد الأمير علي المهنا، ديوان ابن الرومي، دار المدار الثقافية، البليدة، ط1، 2009.

ثانيا: المراجع :

أ-المراجع العربية :

- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط2 ، 1952م.
- إبراهيم جابر علي، المستويات الأسلوبية في شعر بلند الحيدري، دار العلم والإيمان، دسوق،ط1، 2009م.
- ابن معتز عبد الله، لراتشكوفسكي، تح: عبد السلام فراج، دار معارف، القاهرة، ط1، 296هـ.
- أبو عثمان عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر، ط7، 1418هـ-1998م،.
- أحمد تيمور، الحب والجمال عند العرب، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1978م.
- أديب فارس، الرثاء بين أبي تمام والبحتري والمتنبي، مطبعة الاعتدال، سوريا، (د.ط)، 1932 م.
- أنيس الخوري المقدسي، أمراء الشعر العربي، دار العلم، بيروت -لبنان، ط17، 1989م.

- إيليّا سليم الحاوي، ابن الرّومي, فنّه ونفسيته من خلال شعره، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،ط2 ، 1985م.
- أيمن إبراهيم صوالحه، المفارقة في النقد العربي القديم، دار أليازوري، عمان، الأردن، (د.ط)، 2012م.
- تميم محمود فاخوري، مريم شبلي، أعلام الشعر العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- حامد حفني داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ديوان للمطبوعات جامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1993م.
- حسين الحاج حسن، أعلام في العصر العباسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1975م.
- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
- خطيب قزويني، إيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- ركان صفدي، ابن الرومي شاعر متجدد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2012م.
- سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي والأموي، دار المسيرة، عمان، ط1، 1433هـ-2012م.
- سلمى سلمان علي، القيم الأخلاقية في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الأفاق العلمية العربية، القاهرة، ط1، 2007م.
- سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون أنموذجا، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2013م.

- شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس2001م.
- شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف،القاهرة، مصر، ط4، 1119هـ.
- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط24، (د.ت).
- شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1119هـ.
- شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1119هـ.
- صالح أحمد الشامي، ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام.
- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1991م.
- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، القاهرة،.(د.ت).
- طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط 13، 1979م.
- عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع، دار قباء للطباعة و النشر شركة مساهمة مصرية، 2000م.
- عباس محمود العقاد، ابن الرومي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،(د-ط)، 2012م.
- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001م.
- عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط1 ، 1989م.
- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ-2009م.

- عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي، قضايا وظواهر، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ-2008م.
- عبدالهادي الفكيكي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، منشورات دار النمير للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا،ط1،1996.
- عدنان رشيد، دراسات في علم الجمال.
- علي حازم مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، دار المعارف، (دط)، (د.ت).
- غازي طليمات، الأدب الجاهلي، مكتبة دار الإرشاد، حمص، ط1، 1412 هـ-1992م.
- فوزي عيسى، في الشعر العربي، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1،2008م.
- محمد احمد قاسم، علوم البلاغة (البديع،البيان،المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2003م.
- محمد بن حسن عثمان، المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2004م.
- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار لنوبار، القاهرة، ط1، 1994م.
- محمد محمد طهلالي، توضيح البديع في البلاغة، مكتب جامع حديث، (د.ط)، الإسكندرية، 1994.
- محمد مرتاض، مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 4، 1998م.
- محمود البراغي، علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م.
- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العهد العباسي، الدار دولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط2، 2008م.

- مصطفى الشكعة، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1997م.
- مصطفى حركات، أوزان الشعر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1،1418هـ – 1998م.
- مصطفى عبده، فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 1999م.
- معاذ جبر سعيد، القيم العالمية وأثرها في سلوك الإنسان، دار الكتب الحديث النشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م.
- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ط 1، 1962م.
- نضال أحمد نوافعة، الشعر الاجتماعي في الأندلس، دار جليس الزمان، عمان، ط1، 2014م.
- نعمان عبد السميع متولي، المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم، دار العلوم والإيمان، دسوق، ط1، (د.ت).
- نعيمة بوزيدي، ابن الرومي مظاهر الصراع الداخلي في شعره، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2015م.

ب-المراجع المترجمة :

- طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر:سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
- هندي بليث، البلاغة والأسلوبية، تر محمد العمري، إفريقيا الشروق، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

3-الرسائل والمذكرات :

- أحمد حساني، الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006م.
- شحات محمد أبو ستيت، دراسة منهجية في علم البديع، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ط1، 1994.
- محمد عبد القادر حسن غنيم، رثاء الأبناء في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه، أدب عربي، كلية الدراسات الشرقية، جامعة البنجان، بكستان.

4-المجلات والمقالات:

- عبير عبد العزيز محمد السهلاوي، رثاء الشباب عند ابن الرومي، مجلة الذاكرة، مجلد08، العدد01، 2020م.
- منيرة بنت مرعى بن راشد الزهراني، صورة الألم النفسي في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد السادس، العدد الثاني، سنة 2018م.

5-المعاجم و قواميس :

- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2،1979.
- ابن منظور، لسان العرب، مج6، دار الأبحاث، الجزائر، ط1، 2008.
- إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، ت محمد النعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1426،8هـ-2005م.
- محمد بوزواوي ، معجم مصطلحات الأدب، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1411هـ-1991م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**أ- جـ**
المدخل (الفصل النظري)	**07**
أولا : مفهوم القيمة	**08**
1) لغة	**08**
2) اصطلاحا	**09**
ثانيا: دور الشعر في إشاعة القيم الإنسانية قديما حتى عصر الشاعر	**12**
ثالثا : قيمة الشعر عند بن الرومي	**15**
الفصل التطبيقي الأول	**19**
المبحث: مظاهر القيم الإنسانية في شعر ابن الرومي	**20**
أولا/ الجمال	**21**
1. جمال الطبيعة:	**22**
2. جمال المرأة:	**23**
3. حسن الرجل:	**26**
ثانيا/ الحب	**28**
ثالثا/ الألم	**34**
رابعا/ الشعر الاجتماعي	**44**

الفصل التطبيقي الثاني	**53**
أولا : اللغة الشعرية	**56**
1) أهم خصائص لغته :	**57**
أ/- التضمين والاقتباس	**57**
ب/- الاسترسال وعدم إغفال الجزئيات	**58**
ج/- التكرار	**59**
د/ - إختلاف التركيبي	**60**
2) الخصائص المعنوية:	**61**
أ /- الأساليب	**61**
ب/ - محسنات البديعية	**71**
ج/- الصور البيانية	**74**
د/ - موسيقى	**81**
خاتمة	**91**
ملحق	**94**
قائمة المصادر والمراجع	**100**
الفهرس	**107**

ملخص:

لقد أودع الله عز وجل على قلوب البشرية العديد من العواطف والأحاسيس الإنسانية التي تعد منطلقا أساسيا في بناء العلاقات الاجتماعية والتعبير عن المثل الأخلاقية، وقد اهتم بذلك العديد من الشعراء وغيرهم، وبالأخص ابن الرومي الذي عبر عن مبادئ مجتمعه الأخلاقية، وأظهر لنا انفعالاته النفسية، لذلك جاء بحثنا موسوما بـ "القيم الإنسانية في شعر ابن الرومي"، وقد تضمن خطة منهجية قسمت إلى مدخل وفصلين تطبيقيين، حيث خصصنا المدخل لضبط مفهوم القيم ودور الشعر في إشاعتها، وأفردنا الفصل الأول لدراسة مظاهر القيم الإنسانية، أما الفصل الثاني فتحدثنا فيه عن الآليات الفنية المساعدة في إظهار تلك القيم، وقد اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي للكشف عن خفايا البحث .

Summary:

GOdthe Almighty has entrusted many human emotions and feelings to the hearts of mankind , which are a basic starting point in building social relation and expressing moral ideals, and many poets and others have paid attention to this , especially Ibn al-Rumi who expressed his society's moral principles and showed us his psychological emotions , so our research came Labeled with "human values in the poetry of Ibn Al-Roumi"and it included a systematic plan that was divided into an entrance and two applied chapters , where we devoted the entrance to controlling the concept of values and the role of poetry in its spreading through the ages , and we devoted the first chapter to studying the manifestations , we talked about the technical mechanisms that help in showing those values,and we have relied in that on the descriptive approach to uncover the mysteries of the research.